MINISTÈRE DE L'ÉDUCATION NATIONALE, DE L'ENSEIGNEMENT SUPÉRIEUR ET DE LA RECHERCHE



ANNALES ISLAMOLOGIQUES

en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne

AnIsl 43 (2009), p. 376-416

ḤASSAN (Mervat ʿOṯman)

Ṭāʾift al-maġānī fī Maṣr fī al-ʿaṣr al-mamlūkī.

مــرڤت عثمــان حســن

طائفة المغاني في مصر في العصر المملوكي

الغناء[1] في العصر المملوكي

إهتم الناس على مر العصور إهتماماً كبيراً بالموسيقي والغناء بكل أنواعها، مما جعل للموسيقي والغناء أهمية كبيرة في العصور المختلفة، ويرتبط الغناء بالموسيقي إرتباط التوأم بشقه الثانى، وقد حقق الغناء إنتشاره وحضوره المؤثر منذ أيام العرب الأولى[2] وقد إرتفع شأن الغناء في العصور المختلفة بصفة عامة وعصر سلاطين المماليك بصفة خاصة، ويقال أن هذا الذي عليه المماليك من حب للفنون والغناء والموسيقا ورثوه من أسلافهم الفاطميين والأيوبيين،

١. تتقدم الباحثة بخالص الشكر والتقدير إلى أساتذتها وزملائها الذين أثروا البحث بملاحظاتهم السديدة عند إلقائه في الموسم الثقافي للجمعية المصرية للدراسات التاريخية لعام ٢٠٠٨ – ٢٠٠٩م.

غنن غ ن ن الغنه صوت في الخيشوم والأغن الذي يتكلم به من قبل خياشيمه يقال طير أغن وواد أغن أي كثير العشب لأنه إذا كان كذلك ألفه الذبان وفي أصواتها غنة ومنه قيل للقرية الكثيرة الأهل والعشب غناء وأما قولهم واد مغن فهو الذي صارت فيه صوت الذباب ولا يكون الذباب إلا في واد مخصب معشب. غ ن ى غنى به عنه بالكسر غنيه بالضم وغنيت المرأة بزوجها غنيانا بالضم واستغنت وغنى بالمكان أقام به وغنى أيضاً عاشى وبابهما صدى وأغنيت عنك مغنى فلان ومغناه فلان بضم الميم وفتحها فيهما أى أجزأت عنك مجزأة وما يغنى عنك هذا أى ما يجزئ عنك وما ينفعك والغانية الجارية التي غنيت بزوجها وقد تكون التي غنيت بحسنها وجمالها والأغنية كالأحجية الغناء والجمع الأغاني تقول منه تغنى وغنى بمعني والغناء بالفتح والمد النفع وبالكسر والمد السماع وبالكسر القصر اليسار تقول منه غنى بالكسر غنى فهو غنى وتغنى أيضاً أى إستغنى وتغانوا استغنى بعضهم عن بعض والغنى مقصور واحد المغانى وهي المواضع التي كان بها أهلوها، انظر: الرازى، مختار الصحاح، جـ١، ص ٢٠٢؛ ابن منظور، لسان العرب، جـ١٥، ص ١٣٩، ١٤٠. وكل من رفع صوته ووالاه فصوته عند العرب غناء والغناء بالفتح النفع والغناء بالكسر من السماع والغنى مقصور اليسار قال ابن الأعرابي كانت العرب تتغنى بالركبانى إذا ركبت الإبل وإذا جلست في الأفنية وعلى أكثر أحوالها فلما نزل القرآن أحب النبى أن يكون هجيراهم بالقرآن مكان التغنى، ويقال غنى فلان يغنى أغنية وتغنى بأغنية حسنة وجمعها الأغانى أنظر :ابن منظور، لسان العرب، جـ١٥، ص١٣٧وما بعدها. وغنى بالتشديد إذا ترنم بالغناء ورفع الصوت إلى الغاية بالأنغام جمع نغم محركة وهو ترجيح الغناء وترديده، أنظر: الزبيدى، تاج العروس، جـ١، ص٩٥. والمغانى جمع مغنى بمعنى الغناء ولم يقف على هذا في اللغة، إنما المعنى: المنزل، وقد يريد به جمع من على طرح زيادة الضعف، وإن كان بعيداً في القياس، السبكى، معيد النعم ومبيد النقم، ص١٩.

٢. www.azmimah.com, www.neelwalurat.com

فأقبل أمراؤهم وسلاطينهم على تلك الفنون وضروب الملاهي ومتع الحياة ولذاتها إقبالاً لم يعرف لأسلافهم من قبل فانغمسوا فيه إنغماساً شديداً حتى كادت حياتهم كلها تكون للإستمتاع من هذا كله بنصيب وافر، وبهذا أرخو للناس من حولهم أن يشاركوهم تلك المتع وهذا الطرب، وما أن وجد المصريون في سلاطينهم من المماليك هذا الميل وهذا الشغف حتى أقبلوا معهم يشاركونهم ذلك الإستمتاع، وما فعل المماليك غير أن حركوا ذلك الدفين في نفوس المصريين، فإذا هم يجدون منهم سماعاً وعشيرة طرب ورفقة إستمتاع[٣].

وقد كان إقبال المصريين على الغناء في عصر المماليك إقبال المتذوقين الدارسين فهم كما كانوا يستحسنون يستهجنون، وكما يستجيدون يستقبحون[٤]؛ فالحديث عن الغناء والمغنيين لا يتم دون موسيقي فالموسيقي والغناء يكونان معاً، فلا موسيقى دون أن يكون معها غناء، وعلى العكس من ذلك قد يكون غناء وليس معه موسيقى، وإن كان هذا لا يحدث إلا في القليل النادر هو الآخر، فلم نسمع عن عواد أو طنبورى أو زمار أو طبال أو رقاق أى صاحب رق إنفرد بحفل بعينه أو بمجتمع بذاته ينفرد بالموسيقى فقط، بل كان هذا الموسيقى على اختلاف ضروبه وتنوع فنونه دوماً لا يظهر، إلا في مصاحبة مغن أو مغنية حين ينعقد للسماع مجلس، فالفن الموسيقى والفن الغنائي يرتبطان بعضهما البعض إرتباطاً وثيقاً، وقد شهد العصر المملوكى وجود الآلات الموسيقية مثل العود، والطنبور، والمزمار، والطبل، والرق، والكمنجة، والرباب، والطنبورة، والقانون، والساجات، والنقارات[٥] وللأسف أن المراجع التي تحدثت عن الموسيقا في العصر المملوكى لم تكن مراجع متخصصة فذكرتها ومرت عليها مر الكرام.

أشهر المغنيين في العصر المملوكي

نالت الموسيقى والغناء أهمية كبيرة في العصر المملوكي فقد ساعد على ذلك تشجيع السلاطين والأمراء[٦] وإغداقهم على المغنيين والمغنيات، ولا عجب إذا وجدنا أدباء عصر المماليك وشعراءه يكثرون من ذكر المغنيين والمغنييات في شعرهم ونثرهم[٧] فقد عرفنا إسم مُغنى من خلال الشعر، فذكر لنا بعض شعراء العصر إسم لمُغنى في شعره.

لنا أتـى للعـاديـات وزلـزلـت — حفـظ النسـاء ومـا قـرأ للـواقعـة
فـلأجل هــذا الملك أضحى لـم يكـن — وأتـى القتـال وفصُلـت بالقـارعـة
لـو عـامـل الـرحمـن فـاز بكهفـة — وبنصـره فـي عصـره للسـابعـة
مـن كـانـت القينـات مـن أحـزابـة — عـطعط بـه الـدخان نـار لامعة[٨]

٣. محمد قنديل البقلى، الطرب، ص١٠.
٤. محمد قنديل البقلى، الطرب، ص١٣.
٥. سعيد عاشور، المجتمع المصري، ص١١٧.
٦. وممن اشتهر بالبراعة في فن الموسيقي في ذلك العصر الأمير إشقتمر الماردينى المتوفي سنة ٧٩١هـ أنظر، سعيد عاشور، المجتمع المصري، ص١١٦.
٧. سعيد عاشور، المجتمع المصري، ص١١٦؛ محمد قنديل البقلى، الطرب، ص١٢.
٨. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص ٥٧٨ – ٥٧٩.

وقد أشار الناظم بقوله «عطعط» وهم إسم مُغنى، من ندماء السلطان الناصر حسن وكان يحضر في مجلسه[٩] وقد كان عطعط هذا مُغنى كان يُغنى بمصر والشام[١٠] ومن أشهر مُغنى عصر سلاطين المماليك إتفاق العوادة التي تعلمت ضرب العود على يد عبد على العواد، فمهرت في الغناء، وكانت إتفاق حسنة الصوت جيدة الغناء فقدمتها ضامنة المغانى لبيت السلطان فاشتهرت فيه بالغناء[١١] وقد كان لها نصيب كبير في تسابق ثلاثة إخوة من السلاطين هم الصالح إسماعيل وشعبان وحاجى على طلبها[١٢] واليك أشهر مغنيين العصر المملوكي .

أشهر مغنيين العصر المملوكي	مكانتهم في الدولة
عبد العزيز الحفنى	وقد وصف بأنه أعجوبة زمانة فى فن الغناء[١٣].ت ٧١٠هـ / ١٣١٠ -١٣١١م.
خديجة الرحابية	وكانت ذات مكانةعالية وكبيرة عند أهل الدولة[١٤]، كانت تغنى للرجال والنساء أى أنها عاشت تغنى لعامة الشعب فى الميدان العام وحظيت عند أصحاب السلطة فى الدولة وكانت الناس تحكى عن جمال صوتها وتمتدح شكلها فكانت فتنة عصرها غناءً وشكلاً[١٥]، ت سنة ٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م.
خوبى العوادة	فقد كانت مغنية فائقة فى ضرب العود فاشتراها بكتمر الساقى بعشرة آلاف دينار،ويقال أنه لم يدخل مصر لها نظير فى الغناء وضرب العود[١٦].
عبد على العواد	مُعلم إتفاق العوادة، فى عهد السلطان المظفر حاجى[١٧] وقد كان صوته رائع.
إبراهيم بن بابى صارم الدين	كان مقرباً عند المؤيد شيخ أبى النفس إليه المنتهى فى جودة الضرب بالعود، ولم يخلف بعده مثله،وهو أحد ندماء السلطان المؤيد شيخ ومغنيه المحبب لدية، كان أعجوبة زمانة فى ضرب العود والغناء،ولم يكن جيد الصوت فحسب بل كان رأساً فى العود وفى فن الموسيقى إنتهت اليه الرياسة فى ذلك،قيل أنه رومى الأصل فى لسانه عجمة، لكن يديه الضاربتين على العود كانتا تنسى عجمة لسانه[١٨]، ت سنة ٨٢١هـ/ ١٤١٨م.

٩. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص ٥٧٨ – ٥٧٩.
١٠. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٠، ص١٢.
١١. المقريزى، السلوك، جـ٢، ق٣، ص٧١٥.
١٢. ابن الصيرفى، نزهه النقوس والأبدان، جـ١، ص٢١١؛ ابن حجر، الدرر الكامنه، جـ١، ص٩١؛ محمد قنديل البقلى، الطرب فى العصر المملوكى، ص٤٤– ٤٦.
١٣. السخاوي، الضوء اللامع، جـ١٢، ص٣٣؛ ابن اياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص٢٠٧؛ سعيد عاشور، المجتمع المصري، ص١١٦ .
١٤. السخاوي، الضوء اللامع، جـ١٢، ص٣٣؛ ابن اياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص٢٠٧ ؛ أحمد الصاوى، أوراق من تاريخ عمل المرأة المصرية، ص٦٤.
١٥. محمد قنديل البقلى، الطرب فى العصر المملوكى، ص ٨٢–٨٣.
١٦. ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ٢، ص٩٥؛ سعيد عاشور، المجتمع المصري، ص١١٨، ويبدو من إسمها أنها كانت من أصل تركى أو إيرانى، أنظر : أحمد الصاوى، أوراق من تاريخ عمل المرأة المصرية، ص٦٤.
١٧. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٠، ص٢٥٤.
١٨. السخاوى، الضوء اللامع، جـ١، ص٣٢؛ محمد قنديل البقلى، الطرب، ص٢٥.

أشهر مغنيين العصر المملوكي	مكانتهم في الدولة
كتيلة بن قرانغان	وقد ذاعت شهرته أيام الناصر محمد بن قلاوون الذي كان السلطان يرسل في جلبه من ماردين، وإنتهي إليه حسن الطرب بالجنك العجمى، وكان يسأل السلطان في العودة إلى ماردين فيقيم مرة ويرجع بطلب السلطان[١٩] وتعلم الكثير من الجواري على يديه وتخرج على يديه العديد منهن[٢٠].
عمر بن خضر بن جعفر بن زاده الدشتى جمال الدين أبو سعيد الكردى	إجتهد حتى فاق في الغناء، ثم جاء إلى بلاد الشام فاختص به الأمير سيف الدين تنكز نائب السلطنة ببلاد الشام، وعندما بلغ الناصر محمد خبره إستدعاه وأعطاه خبز حلقة «أى إقطاعاً» ثم رتب له راتباً، وهو مؤلف لشتى الآلات الموسيقية التي شاع إستعمالها في ذلك العصر[٢١].
ابن الفصيح عبد العزيز	ويقال إنه كان أعجوبة زمانة في صناعة الغناء ت سنة ٧١٠هـ / ١٣٢١م.
محمد بن على المازنى الدهان	وكان عارفاً بالغناء، ويجيد اللعب بالقانون.
عمر بن خضر بن جعفر الكردى	قدم من الشام، إختص بنائب السلطان الناصر على الشام الأمير تنكز، وصار يُعلم جواريه الغناء، ولما سمع به الناصر إستدعاه ورتب له راتباً، ولقد وضع عمر إبن خضر هذا كتاباً في الموسيقا إسمه الكنز المطلوب في الدوائر والضروب[٢٢].
عزيزة بنت السطحى	كانت من أعيان مغاني مصر وفريدة عصرها في النشيد مع حسن الصوت وفصاحة بإعراب الشعر فلم يخلفها من بعدها أحد من النساء المغانى، ورأت من الأعيان وأرباب الدولة غاية العز والعظمة ما لا رآه غيرها من أرباب هذا الفن، وعندها بضع وثمانين سنة، وكان لها شهرة عظيمة بمصر[٢٣] ت سنة ٩٠٦هـ / ١٥٠٠م.
أصيل القلعية	وكانت من أعيان مغاني البلد، رأت من الأعيان وأرباب الدولة غاية الحظ والإحسان لها[٢٤]، كانت تغنى الأغانى الخفيفة، وبهذا الإنفراد بذلك اللون الخاص من الغناء إشتهرت أصيل القلعية وذاع صيتها وأصبحت ذات حظوة بين الرؤساء والأعيان ثم بين عامة الشعب، فقد كان الغناء الخفيف تطرب له العامة قبل الخاصة.
هيفة اللذيذة	كانت تغنى الغناء الأصيل والمطولات من الأغانى[٢٥].
الريسة خديجة أم خوخه	من المغنيات المشهورات، وكانت من أعيان مغانى الدكة ولها في هذا الفن اليد الطولى، ت سنة ٩١٨هـ / ١٥١٢م.

١٩. ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ٣، ص٢٣٤.
٢٠. محمد قنديل البقلى، الطرب، ص٤٩.
٢١. ابن حجر، الدرر الكامنه، جـ٣، ص١٦٤.
٢٢. محمد قنديل البقلى، الطرب، ص٥٠.
٢٣. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٤، ص٨؛ أحمد الصاوى، أوراق من تاريخ عمل المرأة المصرية، ص٦٤.
٢٤. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص٣١١؛ أحمد تيمور، الموسيقى والغناء عند العرب، ص١٦٦.
٢٥. محمد قنديل البقلى، الطرب، ص ٨٤ –٨٥؛ ٨٨.

أشهر مغنيين العصر المملوكي	مكانتهم في الدولة
الريسة بدرية بنت جريعة	كانت من أعيان المغانى ولها شهرة بينهن واسعة، وضيفة الحموية وهي التي أنشدت في السلطان الناصر محمد بن قلاوون قائلة[٢٦].
دينا بنت الإقناعى	عاشت في دمشق، إشتهرت في عصرها بالتقدم فاستدعاها الناصر فأكرمها، ثم وفدت على الملك الأشرف فحظيت عنده وكانت هذه المغنية سبباً رئيسياً في إسقاط مكس الأغاني، فقد طلبت ذلك من السلطان وأجابها إلى طلبها[٢٧] ت سنة ٧٧٨هـ / ١٣٧٦م.

الإنشاد الديني

أما عن الإنشاد الديني فهو نوعاً آخر من الغناء أو بمعني أدق التوشيحات الدينية، وهناك العديد من المُغنيين ممن إشتهروا بين قراء القرآن الكريم، وكانت لهم منزلة مرموقة في إجادة الترتيل، فلقد عرف عن هؤلاء أنهم كانت لهم مشاركات في الغناء الديني في ذلك النوع المعروف بالموالد والتوشيحات الدينية، إذن فلم يكن غريباً أن نجد في العصر المملوكي رجلاً مغُني من مشاهير الوعاظ في ذلك الوقت، هو شمس الدين محمد بن حلة، يعرف عنه إلى جانب شهرته في الوعظ وأثره فيه أنه كان منشداً مغنياً ومطرباً[٢٨]،واشتهر فى الغناء أستاذ فن النشيد[٢٩] ناصر الدين محمد المازونى فهو أحد الأفراد فى إنشاء القصيد وعمل السماع وكان من عجائب الدنيا فى فنونه،كما كان صوته صوتاً كاملاً أوزائما [٣٠] مع شجاوة وحلاوة وكان رأساً فى إنشاد القصيد على الضروب والحدود، له تسبيح هائل على المآذن كان يشارك فى الموسيقى مشاركة جيدة، ويعظ فى عقود الأنكحة، ففى شهرته ما يغنى عن الإطناب ذكره[٣١]، وتمكن من نفوس الناس بغنائه ثم بأدبه[٣٢].

وثمة مغنٍ آخر هو الريس نور الدين على بن رحاب المُغنى الناشد المادح فريد عصره، ووحيد دهره كان من نوادر الزمان ويركز الخفائف بالألحان الغريبة، وينظم الشعر وكان أخر مغانى الدكة في الدخول والطرب[٣٣] وقيل أنه كان من المغنيين المقربين من بلاط السلطان قايتباي، فلم يكن يخلو حفل عام يقيمه السلطان قايتباي إلا ويحضره ذلك المُغنى فقد ذاعت شهرته في الغناء وعلا صيته[٣٤].

٢٦. أحمد الصاوى، أوراق من تاريخ عمل المرأة المصرية، ص٦٥.
٢٧. خليل البدوى، موسوعة شهيرات النساء، ص١١٣– ١١٤.
٢٨. محمد قنديل البقلى، الطرب، ص١٧.
٢٩. هو محمد ناصر الدين المغربى الأصل القاهرى المغنى المعروف بالمازونى، أنظر : السخاوى، الضوء اللامع، جـ١٠، ص١١٦.
٣٠. أوزانيم ولعلها زيرويم لأن الصوت الكامل هو الذى يجمع بين الطبقتين طبقة الزير وطبقة اليم، أنظر : العيني، السيف المهند، ص١١٦؛ الفارابى، الموسيقى الكبيرة، ص٥٥٣؛ نقلاً عن بن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٦، ص١٩٣ حاشية١.
٣١. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٦، ص١٩٣؛ ابن اياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص٣٤٦.
٣٢. محمد قنديل البقلى، الطرب، ص ٧٦–٧٧.
٣٣. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص٤٣٥.
٣٤. البقلى، الطرب، ص١٠٣.

لقد كانت شهرة بعض المُغنيين الفائقة مثل ابن رحاب بوأته منزلة بين الكبار والأمراء، وهذه المنزلة أغرت ابن رحاب أن يشارك فى الحياة السياسية عن قرب وأنه كان يصطنع أغانى أو يكلف من يصنع له تلك الأغانى فى هجاء بعض الأمراء الذين كانوا على عداء من يميل إليهم من أمراء آخرين، ففى عهد السلطان الظاهر قانصوه ابن قانصوه، قبض الأمير طومان باى على المُغنى ابن رحاب سنة ٩٠٤هـ/ ١٤٩٨م، وكان السبب فى ذلك أن ابن رحاب كان يتشيع للأمير أقبردى الدوادار الثائر على السلطان، وكان يسب الأمراء ويهجوهم بأفحش هجاء، فنقل عنه ذلك للسلطان، فوكل إلى الأمير طومان باى أن يقبض عليه وأن يضربه بالمقارع وأن يُشهر به وهو عريان الرأس على حمار[٣٥]، لقد كان ابن رحاب على مستوى اجتماعى كبير، وكانت له مشاركة فى شؤون البلد لاتقل عن أى مشاركة لسياسى معروف، وممن له باع أيضاً في الغناء الديني المغنى الموسيقي المعروف ببرقوق التونسى وكان بارعاً في الغناء والإنشاد وكان له شهُرة عظيمة قدم من الغرب يروم الحاج فتوفى بالقاهرة عام ٨٧٥ – ٨٧٦هـ/ ١٤٧٠–١٤٧١م[٣٦].

وكانوا يطلقون لفظ أستاذ على المغنى ولفظ الريسة على المغنية[٣٧] ويحدثنا إبن إياس عن وفاة بعض المغنيين الذين كانت لهم شهره كبيره أيضاً في العصر المملوكي فيذكر في حديثه عام ٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م، عن وفاة الواعظ الناشد المادح أبو الفدا الذي كان من أعيان دواخل مصر في حسن الصوت وجودة الغناء وكان لا بأس به[٣٨] وعام ٨٩٢هـ / ١٤٨٦م توفى المنشد المطرب الواعظ المادح شمس الدين محمد بن حله وكان من مشاهير الوعاظ وله نظم جيدة[٣٩]، وكان على حظ كبير من الفصاحة والثقافة[٤٠].

وقد ظهر أيضاً من المقرئين الواعظين التقى بن الثقة الإسنائى صالح بن عبد القوي فقد كان أول أمره مقرئاً حسن الصوت ثم أصبح بعد قليل موسيقياً مغنياً[٤١]، ومن الوعاظ المشهورين الذين أقبل الناس عليهم ابن قرادح أحمد بن محمد القاهرى يقبل عليه الناس ويتلهفون لسماعه وهو يعظهم بسحر كلامه ولكنه كان إلى جانب هذا شاعراً له الشعر الحسن، ثم يلحنه ثم يغنيه، كما كانت له اليد العليا في الضرب على العود، ولقد عرف حسن صوته حينما كان يؤذن به، ويقال أن المؤيد كان يميل إلى سماع صوته وهو يؤذن، وكان يستصحبه في رياضاته وخلواته، ومن المرجح أن يكون احتضان المؤيد له وميله إلى الاستماع منه هو الذي شجع ابن القرادح إلى أن يهجر الوعظ إلى الغناء[٤٢].

وقد تألق نجم كثير من أهل هذه الفنون بدليل ما ذكره ابن الصيرفي في سنة ٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م، عن وفيات تلك السنة أنه مات خمسة أنفس في شهر واحد من أصحاب النغم والآلة لم يخلف نظيرهم وهم علم الدين سليمان المادح

٣٥. البقلى، الطرب، ص ١٠٤–١٠٥.
٣٦. ابن اياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص٤٣٥.
٣٧. الريسة تعنى القائمة على فرقة غنائية ومعها الطبالون والزامرون والراقصات والريس كذلك أيضاً وهم يعنون بذلك أنها إليها إنتهت رياسة فرقة غنائية بعينها، أنظر : محمد قنديل البقلى، الطرب فى العصر المملوكى، ص٦٤، ٨٩.
٣٨. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص٢٠١.
٣٩. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص٢٣٨.
٤٠. محد قنديل البقلى، الطرب، ص ٩٧ – ٩٨.
٤١. محد قنديل البقلى، الطرب، ص٢٣.
٤٢. محمد قنديل البقلى، الطرب، ص٢٣– ٢٤.

ابن يوسف، وإبراهيم بن الجمال المغنى وأخوه خليل المشبب، وعلى بن الشاطر، والمعلم إسماعيل الدحيجاني والذي أبدى أسفه الشديد لما لحق هذه الفنون من خسارة لموت هؤلاء[٤٣] ونال الريّس إبراهيم بن الجندي المغنى[٤٤].

وقد كان بعض السلاطين يفضل مغنى على مغنى آخر، ففي حوادث سنة ٨٧٠ -٨٧١هـ/ ١٤٦٥-١٤٦٦م، أن على بن رحاب المغنى عمل سماعاً في باب الوزير في التبانة، فقامت في تلك الليلة هرجة هناك، فقتل فيها قتيل، فعندما علم السلطان بذلك رسم بنفي ابن رحاب إلى الشام فخرج وهو في الحديد وعندما وصل إلى غزة شفع فيه عند السلطان القاضى أبو الفضل بن جلود، كاتب المماليك فرسم بعودته إلى مصر فعاد وكان السلطان يميز إبراهيم بن الجندي المغني على عليّ بن رحاب في الغناء[٤٥].

وعلى الرغم من وجود المغنيين الرجال والنساء إلا أن السلاطين كانوا يؤثرون المغنية على المغني ولم يكن السلاطين فقط بل الأمراء والناس جميعاً وكأنهم كانوا متأثرين بقول الثعالبى في كتابه «تحفة الأرواح وموائد السرور والأفراح» أن غناء الجواري ذوات الحُسن والدلال له موقع أحسن من موقع غناء الرجال وإن كان أجود منه ويبدو أن الناس قد آمنوا بمقولة الأصفهاني بأن «نعيم الدنيا أن تسمع الغناء من فم تشتهي تقبيله» حيث أن السامع لاشك مجذوب في سماعه للجواري بشيئين هما حسن الصوت بالإضافة إلى الجمال وحسن الهيئة، وهذا يوضح لنا ما كان لهؤلاء الجواري المغنيات والعازفات من حظوة لدى السلاطين المماليك أولاً ثم أمرائهم ثانياً ثم عامة الناس من بعدهم، فالناس على دين ملوكهم[٤٦].

ومما سبق يتبين لنا أن العصر المملوكي لم يقتصر فقط على وجود بل شهرة المغنيات النساء فقط بل نال الرجال حظاً وافراً من الشهرة مثلهم مثل النساء إن لم يكن تفضيل العنصر النسائى على العنصر الرجالى في الغناء كما سبق أن ذكرنا وذلك لحسن أصواتهن وجمال أشكالهن فأتين الحياة من أوسع أبوابها وكانت لهن تلك المنزلة التي فضلتهن على المغنيين، فإليهن وحدهن كان التطريب في الأفراح وفي الحفلات وفي الحروب ثم في المآتم[٤٧].

لغة الغناء

كانت أغانى الناس حضارية فى العصر المملوكى، وكانت لهم أيضاً موسيقى حضارية ممتزجة بأصول عربية وفارسية وتركية، أعنى تلك الأغانى العربية الأولى التي إنضاف إليها مع الزمن ما جد عن الأتراك، فنحن نعلم أن الأغانى العربية الأولى تضرب بأصول عريقة في الفارسية، ونقل المؤرخون للموسيقا ضروبها وأوزانها وأسماء آلاتها إلى العربية من الفارسية، وإمتد هذا إلى أن كان الإختلاط بالأتراك الذين نقل عنهم فيما نقل أصوات تركية وضروب تركية وإيقاع تركى.

٤٣. ابن الصيرفى، نزهة النفوس، جـ١، ص١٦٩.
٤٤. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص٤٠٦.
٤٥. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص٤٤١.
٤٦. محمد قنديل، الطرب، ص١٠٠.
٤٧. محمد قنديل، الطرب، ص٧٨.

ولقد شهد العصر المملوكي هذا الضرب من الغناء الذي هو مزيج بين عربى وفارسى وتركى، هذا النمط السائد في العصر المملوكى الذي كان يسود الحفلات الرسمية، ولكن لم يكن معنى ذلك أن الناس في العصر المملوكى كانوا جامدين على الإستماع إلى هذا اللون الغنائى الرسمى العربى الفارسى التركى، بل لقد كانت لهم مشاركة في الأغانى الشعبية والبدوية التي كانت تجيدها وتؤديها جوقات المحبظين، فجوقات المحبظين كانت متخصصة في الأداء الشعبى البدوى، وهو اداء فيه التزام بموروث لا يعدل عنه[٤٨] كما سوف نوضح في الصفحات التالية .

طائفة المغانى وعلاقتها بضامنة المغانى

تعريف الطائفة

يمكن تعريف الطوائف بأنها هيئات مستقلة ذات تنظيم خاص وكيان معين، ينضم إليها في أغلب الأحوال كل مشتغل بالصناعة أو التجارة أو بأى عمل آخر، فالطائفة تضم أصحاب الحرفة الواحدة أو المهنة الواحدة وكان لكل طائفة دستورها غير المكتوب من عادات وتقاليد موروثة[٤٩].

وعرف ابن منظور في كتابه لسان العرب بأن الطائفة هي الجماعة من الناس وتقع على الواحد كأنه أراد نفساً طائفة، وسُئل إسحق بن راهوبه عنه فقال الطائفة دون الألف ويبلغ هذا الأمر إلى أن يكون عدد المتمسكين بما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ألفاً يسلى بذلك أن لا يعجبهم كثرة أهل الباطل[٥٠] كما ورد أيضاً أن الطائفة من الشيء واقعة منه، وقوله تعالى وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين، قال ابن عباس رضى الله عنهما الواحد فما فوقه[٥١] وطالما نتحدث عن طائفة المغانى فيجدر بنا أن نذكر أنه لم يظهر للمرأة أثر في تنظيمات طوائف الحرف، ولم نعثر على ذكر لهن في الطقوس والحفلات الطائفية ولم نجد لهن طوائف اللهم إلا العاهرات كما ذكر د/ حسين رمضان[٥٢].

٤٨. محمد قنديل، الطرب، ص ١٢٤– ١٢٥.
٤٩. ليلى عبد اللطيف، دراسات في تاريخ ومؤرخي مصر والشام، ص٥٨.
٥٠. ابن منظور، لسان العرب، جـ٢٠، ص ١٣٠ –١٣١.
٥١. الرازي، مختار الصحاح، ص٤٠٠.
٥٢. حسين مصطفى حسين، طوائف الحرفيين ودورهم والاجتماعي في مصر، ص٢١٦.

وقد احترفت النساء الموسيقى والغناء[٥٣] والرقص[٥٤] كما إحترفت بعضهن الدعارة[٥٥] البغاء[٥٦] وكانت تشرف عليهن سيدة تعرف بضامنة المغاني[٥٧] تتولى جمع الضرائب منهن كما كانت تجمعها أيضاً من حرف نسائية أخرى مختلفة بل ومتناقضة مع هذه الحرف، إذ كانت أيضاً مسؤولة عن الواعظات والقارئات والندابات[٥٨].

يمكن القول بأن حرفة طائفة المغانى لم يكن لها نقيب لأنه يجب أن يكون لزاماً على كل من يريد أن يتولى النقابة أن يجتهد في طلب العلم وأن يكون عارفاً بصناعته ومن ذوى العدالة.

وقد كان دور ضامنة المغانى أن يتتبعن أخبار الجوارى اللاتى يحُسن ويجُدن الغناء والطيبات صوتاً ثم يتوليهن بالتدريب والتثقيف ولا يبخلن عليهن بأن يسلمهن إلى عوادين، كما فعلت ضامنة المغانى بالجارية «إتفاق» حين سلمتها إلى الأستاذ عبد على العواد، والشئ الذي يجب ألا يفوتنا هنا أن نذكر أن ضامنات المغانى هؤلاء لم يكن في القاهرة وحدها بل كن في غير القاهرة في بلاد غير معروفة أو مشهورة كمدينة بلبيس، وهذا يعنى ما كان للجوارى المغنيات من شأن في ذلك العهد[٥٩]، والذي يجب ان نذكره هنا أن ثمة معلمات ومعلمون يقمن ويقومون على تدريب

٥٣. حسن الباشا، أثر المرأة في فنون القاهرة، ص١٧١.
٥٤. الجبرتي، عجائب الاثار، جـ٣، ص٧، ١٧٠.
٥٥. قاسم عبده قاسم، دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي، ص ١٣٩ – ١٤٠؛ قاسم عبده قاسم، أسواق مصر في عصر سلاطين المماليك، ص ١٣ – ١٤؛ ابن بطوطه، الرحلة، جـ١، ص٥٣؛ ابن الحاج، المدخل، جـ١، ص ٢٦٧ – ٢٧٠، جـ٢، ص ١٤١ – ١٤٢؛ زكى مبارك، التصوف، جـ١، ص ٣٤٢. لمزيد من التفاصيل عن مهنه الدعارة أو البغاء والبغايا وملابسهن وأماكن تواجدهن. أنظر: المقريزى، السلوك، جـ٢، ق٢، ص٤٩٢، جـ٣، ق١، ص٢٦٦؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص٤٨٦، جـ٢، ص٤١؛ ابن الصيرفى، نزهة النفوس والأبدان، جـ١، ص١٦٨، ٢١١، جـ٣، ص١٤٤؛ ابن حجر، إبناء الغمر، جـ١، ص١٢٧؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ٩، ص٤٧؛ القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٤، ص١٠ – ١١، جـ٥، ص٤٧٠؛ المقريزى، الخطط، جـ١، ص١٤٤، ص٢٩١؛ محمد أحمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص١٠٤؛ قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين المماليك، ص١٥٥، ٣١٣؛ سعيد عاشور، المجتمع المصري عصر سلاطين المماليك، ص١١٧؛ أحمد الصاوى، أوراق من تاريخ عمل المرأة المصرية، ص٦٦ –٦٧. ولمزيد من التفاصيل عن البغاء، أنظر: سامية علي مصيلحي، البغاء في مصر في العصر المملوكي، ص ١٠٩ – ١٣٨، www.aqsaa.com
.Dozy, *supplément*, p. 581; Quatremère, *Histoire des sultans mamlouks*, p. 36, Ashtor , *A Social Economic History*, p. 187.
٥٦. ظهر البغاء في مصر القديمة وظل بها حتى عهد الرومان حيث كانت المعابد تشتمل على نساء يحترفن الدعاره، وكان هذا مورداً رسمياًمعترفاً به، أنظر: نجية إسحق عبد الله، فرج عبد القادر طه، سيكولوجية البغاء، ص٤٥؛ محمد نيازى حتاته، جرائم البغاء دراسة مقارنة، ص١٨. ويحدثنا التاريخ عن إنتشار البغاء في بابل واليونان وفي روما على وجه الخصوص بصورة لم تعرفها غيرها من المدن القديمة، أما عند العرب في الجاهلية فكانت البغايا تقمن في بيوت خاصة وتؤدين الضرائب المفروضة عليهن، وعقب دخول العرب مصر ظل البغاء خفياً فترة من الزمن، ثم بدأ يظهر جهراً وقد فرضت عليه الضرائب، ففي عهد الفاطميين كان التقليد السائد هو إتاحة إشباع الشهوات في الأعياد فكانت البغايا تخرجن متبرجات إلى الشوارع بعرض أنفسهن على من يريد إشباع شهوته، أنظر: حسن الساعاتي، مشكلة البغاء، ص١٧؛ نجية إسحق، فرج عبد القادر، سيكولوجية البغاء، ص٤٦. وقد كانت هذه الفئة منبوذة من المجتمع، Beauvoir , *The Second Sex*, p. 288, والبغايا هم الخواطي كما كانوا يطلقون عليهم في العصر المملوكى ولعل ذلك بسبب إحترافهم الغناء في الظاهر، http: hartaka.blogspot.com، ولمزيد من التفاصيل عن البغاء، أنظر: سامية علي مصيلحي، البغاء في مصر في العصر المملوكي، ص ١٠٩ – ١٣٨.
٥٧. قيل أن الضامن وجمعه ضمَّن وضمان الملتزم (Bermier) الذي يتولى لحسابة جمع ضريبة من الضرائب أو مكس من المكوس التي يفرضها السلطان أو الأمير ويضمن في مقابل تولية ذلك مبلغاً من المال يدفعه إلى الجهة المختصة في أوقات منتظمة كل سنة، أنظر: المقريزى، الخطط، جـ١، ص٧٩. يذكر المقريزى أن الشخص المكلف بدفع الضمان كان يقيم من تحت يده رجالاً على الطرقات لرد الهاربين ويقوم للديوان في كل سنة بمال، أنظر :المقريزى، السلوك، جـ٢، ق٢، ص٥٣٨.
٥٨. قاسم عبده قاسم، دراسات في تاريخ مصر، ص١٣٩.
٥٩. محمد قنديل البقلى، الطرب، ص٤٧.

الجوارى على الغناء، وأنه على أيدى هؤلاء نشأت كثرة من الجوارى المغنيات وحذقن الغناء وأجدن فيه، أي أن وظيفة هذه الضامنة هو شراء الجوارى المغنيات وتُعلمهن الغناء والضرب بالعود[٦٠] ونسمع أن الجوارى الحبشيات كن يتخصصن في الغناء[٦١].

هذا وقد كان ضمان المغانى يدُر للدولة مالاً كثيراً وأرباحاً لا حصر لها لذلك إعترفت الدولة بالبغاء والبغايا وقررت عليه ضريبة وإعترفت بالمغانى، وقد تدخلت ضامنة المغانى هذه في كل أمور النساء الكبيرة والصغيرة، فتدخلت في الأعراس سواء السلطانية أو أعراس عامة الشعب، والمرأة التى تخضب يدها بالحناء فرضت عليها ضريبة هذا إلى جانب أن تلد وتضع مولود تفرض عليها أيضاً مال مقرر، وغير ذلك من أمور مختلفة.

وقد كانت لضمانات المغاني ثروات طائلة وضخمة لا تُعد ولا تُحصى من كثرة ما سبق ذكره من جمع أموال من هنا وهناك، كما سبق أن ذكرنا والدليل على ذلك ما ذكره ابن إياس عن ضامنة المغاني والتي كانت تدُعى هيفا اللذيذة، قد رافعها بعض أعدائها بأن لديها أموال كثيرة وعندما سمع السلطان الغورى ذلك سنة ٩١٨هـ/ ١٥١٢م، قبض عليها وعرضت للضرب أكثر من مرة، وقرر عليها خمسة ألاف دينار[٦٢] وقيل أن هيفا اللذيذة هذه كانت من المغنيات المقربين إلى السلطان الغورى وقد كانت رئيسة المغنيات في عصرها.

والشيء العجيب هنا أن من فعل فرحاً بأغان أو نفس إمرأه بغير إذن الضامنة حل به بلاء ومكر لا يوصف، وطالما أن الدولة إعترفت بكل هذا إذن فالمرجح أن يكون هناك ديوان له شاد[٦٣] على الأقل، وأن لفظ المغانى يشتمل على كل شيء بداية بالغناء ونهاية كل شيء به عمل الفاحشة، وكل هذا كان يأتي للدولة بأموال عظيمة لا حصر لها لذلك إعترفت الدولة به وفرضت عليه الضرائب والتي كانت ضامنة المغانى وشاده هم المسؤولين عن دفع الأموال لخزينة الدولة.

دور طائفة المغانى في المناسبات المختلفة الخاصة بسلاطين المماليك والأعياد والحفلات المختلفة

شغف كثير من سلاطين المماليك بالموسيقي والغناء حتى جرت العادة أن يكون لكل سلطان أو ملك جوقة[٦٤] من المغاني في داره، ودفع ذلك بعض السلاطين إلى تقريب أرباب الموسيقى والغناء إليه فإذا سمع بمغنى أرسل في طلبه

٦٠. المقريزى، السلوك، جـ٢، ق٣، ص٧١٥.

٦١. على السيد على، الجوارى، ص١١.

٦٢. إبن إياس، بدائع الزهور، جـ٤، حوادث سنة ٩١٨هـ؛ عبد الوهاب عزام، مجالس السلطان الغورى، ص٣٦– ٣٧؛ على السيد على، الجوارى، ص٩٥.

٦٣. استحدثت وظيفة شاد الدواوين في عصر الناصر محمد بن قلاوون، وقد إرتفع شأن شاد الدواوين وذلك في حالة عدم وجود وزير في الدولة، ومن مهام شد الدواوين تحصيل المال وصرف النفقات، وهو كان يصاحب الوزير متحدثاً في استخلاص الأموال إذ قال القلقشندي عن صاحبها رفيقاً للوزير متحدثاً في إستخلاص الأموال . أنظر : حسن الباشا، الوظائف، جـ٢، ص٦١١؛ المقريزى، السلوك، جـ٢، ص٣١٣؛ القلقشندي، صبح الأعشى، جـ٤، ص٢٢.

٦٤. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص٥٥؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ٥، ص٧٩٢؛ سعيد عاشور، المجتمع المصري، ص١٤٨. والجوقه هي المجموعة الكاملة من المغانى، قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين المماليك، ص٣٣٥.

وكلفه بتعليم جواريه فن الغناء[٦٥] كما فعل الناصر محمد بن قلاوون مع المغنى كتيلة بن قرانغان[٦٦]، وكذلك إتفاق العوادة[٦٧] التي اشتهرت بالغناء وطلبها السطان شعبان ومن بعده أخيه المظفر حاجى[٦٨]، هذا وقد كان الفن الراقى وقفاً على القصور وساكنيها[٦٩] فقد كان الرقص والغناء من الأعمال التى قامت بها الجوارى والتي تتعلق بالترف والرفاهية، وذلك لأن مجالس الدولة كانت سمة من سمات القصور الإسلامية، كما أقبل عليها الأمراء وكبار رجال الدولة، وقد ظهر هذا منذ القدم فقد شجع الطولونيون الغناء فكان خمارويه بن أحمد بن طولون يجلس للشرب والمغنيات من حوله كما بنى في داره مجلساً عرف ببيت الذهب رسم على حيطانه صور بعض المغنيات، وكان الإخشيديون والفاطميون أيضاً مولعين بسماع الغناء والرقص[٧٠]، وأقبل الناس حكاماً ومحكومين على فنون الطرب واللهو والملاهى ومتع الحياة ولذاتها ولم يدخر سلاطين المماليك وأمراءهم بصفتهم الطبقة الحاكمة وسعاً في الإقبال على المطربين والمطربات وتشييد المغانيات التى هي قاعات خصصت لسماع الغناء والطرب والإستمتاع بمشاهدة الرقص وسماع الموسيقي[٧١] باعتبارهم قد ورثوا محبة الفنون والغناء عن أسلافهم الفاطميين والأيوبيين[٧٢].

كما كان الغناء والشراب من أشهى ضروب اللهو في حياة المماليك وكانت دنياهم تموج بالطرب والعطاء وإقتناص اللذائذ والشهوات والإسراف فيها ليلاً ونهاراً، ولقد كان لهذا التيار الجارف أثره في نفوسهم، حيث أصبح الغناء ضرورة من ضرورات حياتهم لا يعيشون إلا به، ولا يرون الحياة سهلة جميلة إلا على ضرب الأعواد ونقر الدفوف وترنيم الأشعار وألحان الغناء، ولقد بلغ من إمتزاج الغناء بنفوسهم أن كان بعضهم يتعشقه، ولا يطيق العيش بدونه[٧٣]، وهنا يجب أن نشير إلى أن المماليك في حبهم للغناء وإقبالهم عليه لم يكونوا دخلاء ولا مرتجلين بل كان منهم من يتقن العزف على الآلات الموسيقية، ويفهم الغناء فهماً حسناً ويقرب أربابه[٧٤].

ومن المناسبات الخاصة التي لعبت فيها المغانى دوراً هاماً عصر سلاطين المماليك هي حفلات الختان ففي عام ٧٧٧هـ/ ١٣٧٥م، ختن السلطان الأشرف شعبان بن حسين وعمل فرحاً عظيماً أنفق فيه من الأموال ما لا يحُصى وظهر فيه من الفواحش والقباح ما لا مزيد عليه[٧٥]، ويستمر الإحتفال بالختان لمدة سبعة أيام وفي طرقات القاهرة

٦٥. ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ٣، ص٢٦٥.
٦٦. ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ٣، ص٢٦٥، ترجمة: كتيلة بن قرانغان.
٦٧. هي جارية سوداء إشترتها ضامنة المغانى بدون الأربعمائة درهم من ضامنة المغانى بمدينة بلبيس وعلمتها الضرب بالعود على الأستاذ عبد الجواد على العواد فمهرت فيه وكانت حسنة الصوت فقدمتها لبيت السلطان الملك الصالح إسماعيل، أنظر: بن تغرى بردي، النجوم الزاهرة، جـ١٠، ص١٢٠؛ محمد بن حسين بن عقيل، المختار المصون من اعلام القرون، ص٤.
٦٨. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٠، ص١٢٠.
٦٩. قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين المماليك، ص٣٣٥.
٧٠. المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٣١٦ – ٣١٧ ؛ محمد جمال الدين سرور، تاريخ الحضاره الإسلاميه في الشرق، ص١٩٠؛ سيدة كاشف، مصر في عهد الإخشيدين، ص٢٧٥؛ نريمان عبد الكريم، المرأة في العصر الفاطمي، ص١١٣.
٧١. محمد قنديل البقلى، الطرب، ص ٤٣ – ٤٤؛ على السيد على، الجوارى، ص٨٠.
٧٢. محمد زغلول سلام، الأدب في العصر المملوكى، جـ١، ص ٢٨١ – ٢٨٥؛ على السيد على، الجوارى، ص٨٠.
٧٣. النويرى، نهاية الأآرب، جـ٤، ص٣٥٢؛ على السيد على، الجوارى، ص٨٠.
٧٤. على السيد على، الجوارى، ص٨١.
٧٥. ابن حجر، أنباء الغمر، جـ١، ص١٠٣.

وأزفتها كانوا يحشدون لتلك الاحتفالات المغنون في الأسواق والمغنيات في البيوت[٧٦]، يدعو السلاطين المغنيين لحضور حفلات ختان أبنائهن كما حدث عام ٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م، فقد ختن الملك المنصور عثمان بن الظاهر جقمق أولاده بدمياط، وتوجه المغُني ابن رحاب ومشى في الزفة وكان مهماً حافلاً[٧٧]، وقد طلب السلطان المؤيد أحمد بن الأشرف إينال عام ٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م، في ختان إبنه المُغني على بن رحاب ليحضر الزفة[٧٨].

كما شارك جميع سائر مغانى البلد عام ٨٩٥هـ/ ١٤٨٩م في الاحتفال بختان ولد السلطان المقر الناصر محمد الذي تسلطن بعده وكان عمره يومئذ نحواً من سبع سنين وأشهر وكان الإحتفال بالقلعة سبعة أيام متوالية، فاجتمع سائر مغانى البلد وأمر السلطان بأن تزين القاهرة فزينت زينة حافلة[٧٩]، وعلي الجانب الآخر نجد أن السلطان الظاهر بيبرس في ختان ابنه الأمير نجم الدين خضر ابن السلطان، وعدة من أولاد الأمراء إتخذ موقفاً غريباً، فلم يعطى المغانى وأرباب الملاهى أى شىء، ولم يحضروا ختان إبنه، ولم تنفق لهم طوال أيامه سلعة، ولا نالهم منه رزق البتة[٨٠].

وتتوالي المناسبات المختلفة التي شجع فيها سلاطين المماليك على حضور المغانى وإغداقهم عليهن[٨١] فأفراح السلاطين وأبناءهم كانت مهرجاناً العادة فيها إستحضار المغنيات وضاربات الدفوف، كعُرس السعيد بركه خان بن الظاهر بيبرس[٨٢]،وقد ظهر دور المغانى في حفلات الزواج والأعراس التى كانت تمتد ليالى وليالى وقد تمكث شهراً، وفي كل ليلة كان يعرض غير ما يعرض من اللييالي الأخرى، فإذا إمتدت تلك الحفلات شهراً مثلاً رأيت في كل ليلة من ليالى[٨٣] ذلك الشهر جديداً، ولقد كان الغناء هو أهم ما تعمر به تلك الليالى ومعه الزمر والطبل في الأعراس الخاصة بجميع سلاطين المماليك، ففي عام ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م، كان عرُس أمير على بن أرغون النائب على إبنة الناصر محمد بن قلاوون، وكان فيه ثمان جوق من مغاني القاهرة، وخص كل جوقة من جوق القاهرة بخمسمائة دينار ومائة وخمسون تفصيلة حرير[٨٤]، وأحيت طائفة المغانى أيضاً عرُس الأمير قوصون على إبنة السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وقيل أن المغانى حَصَل لهن من النقوط في هذا العرُس عشرة ألاف ديناراً مصرية[٨٥]، ويعتبر عُرس الأمير أنوك سنة ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م، مصدر سعادة لطائفة المغانى، فقد أمر السلطان الناصر محمد بإحضار جميع من بالقاهرة ومصر من أرباب الملاهى إلى الدور السلطانية[٨٦] وكانت المغانى تضرب بالدفوف، وأنواع المال من الذهب

٧٦. محمد قنديل البقلى، الطرب، ص٣٦.
٧٧. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص١١٥.
٧٨. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص١٩٣.
٧٩. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٤، ص ٥٢ – ٥٣.
٨٠. المقريزى، السلوك، جـ١، ق٢، ص٦١٢.
٨١. سعيد عاشور، المجتمع المصري عصر المماليك، ص١١٦.
٨٢. ابن حجر، إنباء الغمر، جـ١، ص٥٦، جـ٢، ص٣٧٦؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ٧، ص١٤٨؛ المقريزى، السلوك، جـ١، ق٢، ص٦٢٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، جـ١٣، ص٢٧٠؛ المقريزى، الخطط، جـ٢، ص١١١؛ أبو الفدا، تاريخ ابو الفدا، ص٧١؛ القلقشندي، صبح الأعشى، جـ١٤، ص ٣٤١ – ٣٤٤.
٨٣. محمد قنديل البقلى، الطرب، ص٣٥.
٨٤. المقريزى، السلوك، جـ٢، ق١، ص٢٤٩.
٨٥. المقريزى، السلوك، جـ٢، ق١، ص٢٨٨.
٨٦. المقريزى، السلوك، جـ٢، ق٢، ص٣٤٣ – ٣٤٦؛ سعيد عاشور، المجتمع المصري، ص١٣٢.

والفضة وشقق الحرير تلقي عليهن فحصل لهن ما يجل وصفه[٨٧] وإستمر المهم سبعة أيام بلياليها[٨٨]، حتى مهر العريس لعروسه وتقديمه لها كان للمغانى دوراً فيه، فقد حُمل مهر الأمير بكتمر جلق نائب الشام إلى بنت السلطان الناصر فرج بن برقوق بزفة ورقص وزغاريد من المغانى حتى دخل دار السعادة، ثم عقد العقد بحضرة السلطان والأمراء والقضاة[٨٩].

هكذا شجع سلاطين المماليك حضور طوائف المغانى في أفراحهم وأفراح أبناءهم وكانوا ينفقون بل يبعثرون الأموال والذهب والخلع المختلفة على هؤلاء المغانى، فعندما تزوج السلطان الملك الكامل سيف الدين شعبان بن الناصر محمد بن قلاوون ببنت الأمير طقزدمر عمل لها عُرساً مهماً لمدة سبعة أيام بلياليها إجتمع فيه نساء الأمراء جميعاً وكانت فيه عدة جوق من المغانى، حصل لهن من الذهب والفضة، وأنواع الحرير شيء يجل وصفه، وبلغ نصيب ضامنة المغانى بمفردها ثمانية ألف درهم سوى بقية المغانى[٩٠]

ظهر أيضاً دور المغانى عندما كان السلطان يلعب الكرة ويفوز في لعبه فقد كان يقيم حفلاً بوليمة تحضرة المغانى من كل مكان، ففى عام ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م في عهد المظفر حاجى ركب السلطان المظفر حاجى مع أمرائه الخاصكية[٩١]، ونزل إلى الميدان، ولعب بالكرة فغلب الأمير ملكتمر الحجازى في الكرة فلِزَم الحجازى عَمَل وليمة في سِرياقوس، ذبح فيها من الغنم حوالى خمسمائة رأس، وعشرة أفراس، وعمل أحواضاً مملؤة بالسكر المُذاب، وجمع سائر أرباب الملاهى، وحضرها السلطان والأمراء[٩٢] وكان للمغانى دوراً عظيماً في هذا اليوم.

بالإضافة إلى ذلك فقد إنتهز بعض سلاطين المماليك فرصة الخروج إلى الصيد للتحرر من قيود المُلك، فارتكب بعضهم في هذه المناسبة كثيراً من المعاصى وتجاهروا بالفواحش، والدليل على ذلك أن السلطان شعبان إصطحب معه عند خروجه للصيد عدداً من الغوانى وجرار الخمور وأرباب الملاعيب والملاهى والمغانى[٩٣] إلى جانب أن السلطان الناصر فرج بن برقوق كان عند خروجه للصيد يجمع أرباب الملاهى والمغانى ويأخذهم معه في رحلته للصيد، وقد بلغ عدد المغانى في عهده حوالى جوقة[٩٤] كما خصص يومى الأحد والأربعاء لشرب الخمر[٩٥].

والشيء الذي يثير الدهشة أن هناك من السلاطين من سُجن وإصطحب في سجنه أرباب اللهو والمغانى، فالملك المنصور محمد بن السلطان حاجى ٧٦٢هـ/ ١٣٦٠م، كان محباً للهو والطرب، راضياً بما هو فيه من العيش الطيب،

٨٧. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ٩، ص١٠١ – ١٠٢؛ المقريزى، السلوك، جـ٢، ق٢، ص٣٤٦.
٨٨. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ٩، ص١٠١؛ سعيد عاشور، المجتمع المصري، ص١٣٢.
٨٩. المقريزى، السلوك، جـ٤، ق١، ص١٠٧؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ص٨٨– ٨٩.
٩٠. المقريزى، السلوك، جـ٢، ق٣، ص٦٩٠ – ٦٩١.
٩١. لفظ مملوكي مفرده الخاصكي، وهم نوع من المماليك السلطانية يختارهم السلطان من المماليك الأجلاب الذين دخلوا في خدمته صغاراً ويجعلهم في حرسه الخاص، وجعل هذا الاسم خاصاً بهم لأنهم يحضرون على السلطان في أوقات خلواته وفراغه وينالون من ذلك ما لا يناله أكابر المتقدمين، ويحضرون في طرفي كل النهار في خدمته، ويركبون مركوب السلطان ليلاً ونهاراً، ويتوجهون في المهمات الشريفة ويتأنقون في مركبهم وملبوسهم، انظر : محمد أحمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص١٦٦.
٩٢. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٠، ص١٥٥.
٩٣. المقريزى، السلوك، جـ٢، ص٧٤٥، جـ٤، ص٤٦– ٤٧؛ سعيد عاشور، المجتمع المصرى، ص٨١.
٩٤. سهام أبو زيد، الحسبة، ص١٩٥.
٩٥. إبن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ص١٠٤ – ١٠٥، جـ٢، ص٤١.

وكان له مغانٍ عدة جوقة كاملة، زيادة على عشر جوار يعرفن بمغانى المنصور[٩٦]، وعندما سُجن بعد خلعه من السلطنه عام ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م، كان يُسلى نفسه في سجنه بالقلعة، بالشرب وسماع المغانى ومشاهدة الملاح، فكان لا يصحو من السُكر ليلاً ونهاراً[٩٧] وعندما مات الملك المنصور إستمرت جواريه المغانى يعملون الأفراح للناس، وكانوا يعرفون بجوقة المنصور[٩٨].

وكان السلطان الناصر حسن يحب اللهو والطرب ويميل إلى شُرب الراح، وحُب القيان من النساء الملاح، وكان يميل إلى سماع الآلات ويقرب المغانى ويحب أرباب الفن من المغانى قاطبة[٩٩]، وإصطحب سلاطين المماليك المغانى معهم في الخروج إلى النزهة والرحلات المختلفة، فعندما توجه السلطان الناصر حسن إلى كوم برا[١٠٠] طابت له الإقامة هناك، فأقام بها نحو ثلاثة أشهر، وكان بالقاهرة في هذا الوقت أوخام ووباء مع أمراض شديدة بالناس، فاستمر مقيماً هناك وهو في أرغد عيش، وكان في كل ليلة يحضر عنده مغانى عرب، ويحرق إحراقات نفط وكانت الأمراء تتوجه إلى هناك وتعطى الخدمة للسلطان في كل يوم إثنين وخميس[١٠١].

أضف إلى ما سبق أن السلطان المؤيد شيخ ٨٢١هـ/ ١٤١٨م، كان يحب الموسيقي، وينظم الشعر والفن وله أشياء كثيرة من نظمه دائرة بين المغانى، وكان يقرب المغانى وأرباب الفن[١٠٢] فعندما توجه السلطان المؤيد شيخ إلى بيت الأتابكى ألطنبغا القرمشى ليزوره عندما كان مريضاً، فخرج من عنده، وتوجه إلى بيت جقمق الدوادار فأقام عنده إلى آخر النهار وحضر عنده المغانى والموسيقين، إنشرح السلطان في ذلك اليوم[١٠٣] فقد كان يُحب اللهو والطرب ويقضى غالب أيامه في اللهو والنزهة والطرب[١٠٤].

ويحدثنا عبد الوهاب عزام في مؤلفه مجالس السلطان الغورى عن الشريفى مترجم الشاهنامه عن مدى عناية السلطان قانصوه الغورى بالموسيقى وإستصحابه كبار الموسيقين وأن له موشحات وألحان كان أرباب المغانى يتغنون بها طوال عصره.

ويمكن القول أن العصر المملوكى قد سادته موجة من إقبال السلاطين في شغف ونهم على السماع بمختلف ضروبه غناء وموسيقى، فالغناء كان صورة واضحة لحياة الناس الاجتماعية والسياسية والعقلية في ذلك العصر[١٠٥].

٩٦. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١١، ص٨.
٩٧. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص٥٩٣.
٩٨. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص٥٩٣.
٩٩. ابن اياس، بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص٥٧٩.
١٠٠. كوم برا: بفتح أوله ويروى بالضم وأصله الرمل المشرف، وقال ابن شميل: الكومة تراب مجتمع طولة في السماء ذراعان ويكون من الحجارة والرمل والجمع كوم، وهو إسم لمواضع بمصر تضاف إلى أربابها أو إلى شيء عرفت به، أنظر: ياقوت الحموى، معجم البلدان، مـ٤، ص٤٩٥، وعند الرجوع إلى محمد رمزى، القاموس الجغرافي، أحال كوم برا إلى كومبره بمركز إمبابة . أنظر: محمد رمزى، القاموس الجغرافي للبلد المصرية، ق١، البلاد المندرسة.
١٠١. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص٥٧٣.
١٠٢. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٤، ص١١٠؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق٢، ص٣٧؛ محمد قنديل البقلى، الطرب في العصر المملوكى، ص٤٨ -٤٩.
١٠٣. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق٢، ص٣٧.
١٠٤. ابن تغرى بردى، المنهل الصافى، جـ٦، ص٣٠٦؛ محمد قنديل البقلى، الطرب في العصر المملوكى، ص٨٢.
١٠٥. عبد الوهاب عزام، مجالس السلطان الغورى، ص١٧ – ٣٨؛ على السيد على، الجوارى، ص٨٢.

وقد جرت العادة أيضاً أن يحتفل بشفاء السلطان إذا ألم به مرض ثم عوفى من هذا المرض، فتستمر الأفراح سبعة أيام بالقلعة إلى جانب سائر بيوت الأمراء، وكذلك تُضرب[١٠٦] البشائر والكوسات ويجتمع أصحاب الملاهى بأمر السلطان بالقلعة[١٠٧]، فعندما كان السلطان يسمع بمرض زوجته كان يزورها بإستمرار، وعندما يتم شفاؤها يحتفل بذلك إحتفالاً عظيماً ويتردد عليها أعيان الدولة من الأمراء والقضاة، والأكابر للتهنئة ويجتمع عند بابها أرباب الطبول والملاهى والمغانى أيضاً، ثم بعد ذلك تعود خوند[١٠٨] إلى بيتها بالقلعة في موكب رائع وحولها المشاعل والشموع والفوانيس[١٠٩]، وكانت تزين الحوانيت والأسواق في حالات شفاء السلطان من أحد الأمراض كما حدث سنة ٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م بعد شفاء السلطان حسام الدين لاجين من كسر يده نحو الشهرين ونزل إلى الميدان، ودقت البشائر[١١٠] وحضرت المغانى من كل مكان، وعندما عوفى السلطان الناصر محمد بن قلاوون من مرضه عام ٧٣٠هـ / ١٣٢٩م، زيُنت القاهرة ومصر وتفاخر الناس في الزينة بحيث لم تعهد زينة مثلها وإستمرت أسبوعاً تفنن أهل البلاد فيها بأنواع الترف، وقد إجتمع المغانى وأرباب الملاهى في أماكن مختلفة ومعهم جميع آلات المغنى[١١١].

وأيضاً لعبت طائفة المغانى دوراً آخر عندما شُفِيَ السلطان الناصر محمد من مرضه عام ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م، فقد جُمعت أرباب الملاهى بالقلعة، وحصل لأرباب الملاهى ما لا ينحصر[١١٢] وقد كان للمغانى دوراً كبيراً عند مرض السلطان الأشرف قايتباى وشفائه عامى ٨٧٦هـ -٨٩١هـ / ١٤٧١-١٤٨٦م، ففي عام ٨٧٦هـ / ١٤٧١م، شُفى السلطان الأشرف قايتباي من مرضه فإجتمع بحريم السلطان من المغانى والفرح ما يليق به[١١٣].

وفي عام ٨٩١هـ/ ١٤٨٦م، شفى السلطان الأشرف قايتباى من مرضه فاصطفت المغانى له عند رجوعه من الجامع ودقت البشائر وزينت القاهرة[١١٤] وكان للمغانى دوراً كبيراً في الزفة وإستقبال السلطان عند شفائه من مرضه.

وعلي الرغم من أن الحج تكفير لبنى أدم عن ذنوبهم، لكن ذلك لم يمنع سلاطين المماليك من إستقبال طوائف المغانى لهم وأرباب الطبول والملاهى عند عودتهم من الحج، ففي عام ٧٢٠هـ / ١٣٢٠م، عاد السلطان الناصر محمد بن قلاوون بعد قضاء مناسك الحج، وخرج الأمراء للقائه ببركة الحجاج، وركب السلطان بعد إنقضاء السماط في موكب عظيم وقد خرج الناس لرؤيته حتى طلع القلعة، فكان يوماً مشهوداً زينت فيه القاهرة ومصر زينة عظيمة لقدومة وكثرت التهانى، وأرباب الملاهى من الطبول والزمور[١١٥]، وفي الحج أيضاً كانت تقام الأفراح والولائم وضرب

١٠٦. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ٩، ص٦٤.
١٠٧. سعيد عاشور، المجتمع المصري، ص٢١٥.
١٠٨. كان يطلق على الملكات والأميرات وهو خاص بزوجات السلاطين، انظر: خليل بن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص١٢١، وخوند أصلها خدواند وهي لفظة فارسية تعني السيد أو السيدة وتفيد الاحترام والتبجيل، أنظر: السيد أدي شير، الألفاظ المعربة، ص٥.
١٠٩. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص٤٩؛ سعيد عاشور، المجتمع المصري، ص١٤٤.
١١٠. المقريزى، السلوك، جـ١، ق٣، ص ٨٣١ - ٨٣٢.
١١١. المقريزى، السلوك، جـ٢، ق٢، ص٣٤٦.
١١٢. المقريزى، السلوك، جـ٢، ق٢، ص٥٢١.
١١٣. ابن الصيرفى، نزهة النفوس والأبدان، جـ٢، ص٣٣١.
١١٤. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص٢٢٩.
١١٥. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ٩، ص٦١.

بالطبول والأبواق والمزامير ويسمّون ذلك تهنئة الحاج[١١٦]، وفي عام ٧٧٨هـ/ ١٣٧٦م، عندما أراد الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون السفر للحج جهز معه كل شيء وحمل معه عدة من أرباب الملاهى وأنكر الناس ذلك من أجل أنه غير لائق بالحج[١١٧].

وللمغانى دوراً كبيراً عند ضرب نقود جديدة فحينما كان السلاطين يقومون بضرب نقوداً جديدة كانت المغانى تقوم بإشهار ذلك بين الناس حينما تزف تلك النقود، ففي عام ٨١٨هـ/ ١٤١٥م في عهد المؤيد شيخ حُملت الدراهم المؤيدية والذهب المؤيدى من دار الضرب بالقاهرة إلى القلعة وزُفت بالمغانى من دار الضرب إلى القلعة[١١٨] وقد كان للمغانى دوراً كبيراً في نشر خبر ضرب الدراهم والدنانير المؤيدية عندما زفتها وسبب ذلك أنه عندما جاء السلطان المؤيد شيخ من دمشق وكثرت الدراهم النوروزية والبندقية[١١٩] بأيدى الناس في القاهرة، قام السلطان بضرب دراهم مؤيدية، وقد أُشيع بين الناس بأن السلطان سبك دنانير كثيرة من الناصرية، وقام بضرب دنانير مؤيدية، فتوقف الناس في أخذ الدينار الناصرى إلى أن استدعى السلطان قضاة القضاة وكبار الصيارفة إلى بين يديه بالإسطبل من القلعة وتحدث معهم في إبطال الدنانير الناصرية، فذكر له قاضى القضاة جلال الدين البلقينى أن في هذا إتلاف كثير من الأموال، فلم يعجب السلطان ذلك، ورد النظر في النقود إليه[١٢٠]، وعندما ضُربت الدنانير والدراهم زفتها المغانى، وكان لها دوراً كبيراً في نشر ما تردد من ضرب الدراهم والدنانير.

واختلف دور المغنيات في أحزان بل وفاة السلاطين عن دورهن في أفراحهم فقد كانوا يعدون جنازات ضخمة تتقدمها طوائف ممن يحترفن القراءات المختلفة يرتلونها بصوت واحد وبنغمة واحدة[١٢١] وكانوا يسمونهم الفقراء الصوفية[١٢٢]، هذا إلى جانب من يقمن بالندب واللطم والضرب بالدفوف، فقد كانت المآتم تقام بالمغاني والندابات[١٢٣] وهذا ظهر واضحاً عندما مات الملك الصالح إسماعيل بن الناصر محمد بن قلاوون، عُمل للملك الصالح العزاء بالديار المصرية أياماً كثيرة ودارت الجوارى والمغنيات بالملاهى يضربن بالدفوف، يبكين ويلطمن، وكثر حزن الناس عليه حزناً عظيماً[١٢٤]، وعندما توفى الأمير خليل ابن الملك الناصر فرج بن برقوق عام ٨٥٨هـ/ ١٤٥٤م، ودفن في تربة جده الظاهر برقوق، وأظهرت عليه أخته خوند شقرا غاية الحزن، وعملت له نعياً بالمغانى تزف بالطارات، سبعة

١١٦. ابن الحاج، المدخل، جـ٤، ص٢١٦.
١١٧. المقريزى، السلوك، جـ٣، ق١، ص٢٧٣.
١١٨. المقريزى، السلوك، جـ٤، ق١، ص٣٠٨.
١١٩. في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون قرر مجلس شيوخ البندقية ضرب عملة ذهبية خالصة أطلق عليها في أوربا لفظ دوكات (Ducat) بينما عرفت في الشرق بإسم بندقي أو إفرنتى وقد وصفها مؤرخو مصر المملوكية بإسم المشخصة نسبة إلى صور القديسين المنقوشة على أحد وجهيها، وإنتشرت دوكات البنادقة في الشرق العربى وخاصة في مصر وذلك لثبات وزنها ودقتها وإستدارتها وعيارها المرتفع مقابل الدنانير المملوكية التى لم يكن لها وزن أو عيار ثابت . المقريزى، السلوك، جـ٤، ق١، ص ٣٠٦ – ٣٠٧؛ www.landcivi.com.
١٢٠. المقريزى، السلوك، جـ٤، ق١، ص ٣٠٦ – ٣٠٧.
١٢١. محمد قنديل البقلى، الطرب، ص٣٦.
١٢٢. أطلق الصوفية علي أنفسهم إسم الفقراء، وذلك لأن الفقر شعار الصالحين، فهم جماعات عرفوا في ذلك العصر، وأطلق عليهم إسم الفقراء الذاكرون يحضرهم أهل الميت ليذكروا أمام الجنازة، كل جماعة منهم لها صوت ونغم خاص، ويستمرون علي ذلك حتي تصل الجنازة إلي المسجد للصلاة علي الميت، أنظر : سعيد عاشور، المجتمع المصري، ص١٢٢–١٨١.
١٢٣. سعيد عاشور، المجتمع المصري، ص١٢١.
١٢٤. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٠، ص٩٨.

أيام وقيل أن ذلك من النوادر[١٢٥]، وفي عام ٩١٧هـ / ١٥١١م، توفى الأمير طراباى، وكانت جنازته مشهودة ونزل السلطان وصلىّ عليه في سبيل المؤمنين، ودقت عليه زوجته بالطارات مع المغانى في العزاء[١٢٦].

ولطائفة المغانى أيضاً دوراً هاماً عند ولادة أبناء السلاطين، فقد كانت الأفراح تستمر لمدة كبيرة، وتحضر المغنيات من كل مكان ويكسبون أموالاً ففي عام ٧٣٨هـ / ١٣٣٧م، وُلد للسلطان الناصر محمد بن قلاوون ولد هو إبنه من بنت الأمير تنكز نائب الشام فعمل لها الفرح لمدة أسبوع، فحصل للمغانى شيء كثير، حتى أن مغنيات القاهرة جاء نصيب كل واحدة منهن عشرة آلاف درهم هذا إلى جانب إعطائهم التفاصيل الحرير والمقانع[١٢٧] المزركشة[١٢٨].

ويظهر دور المغنيات أيضاً عند عودة السلطان منتصراً من الحرب، ففي هذه الحالة يسبق أحد الأمراء بالبشارة وعندئذ تصدر الأوامر بإحضار سائر مغانى العرب من أعمال مصر كلها[١٢٩] وتجلس المغانى تدق بالدفوف[١٣٠] وتضاء الدكاكين والحوانيت كلها بالشموع والقناديل نهاراً وليلاً[١٣١]، فعلى سبيل المثال لا الحصر، الإحتفال بقدوم الجيش الذي أرسله السلطان الأشرف قايتباى للقضاء على الفتن التي أثارها أحد زعماء التركمان المقيمين على الأطراف الشمالية لدولة سلاطين المماليك في بلاد الشام والتي تزعمها أحد زعماء هذه القبائل التركمانية ويُدعى شاه سوار، ففي عام ٨٧٧هـ / ١٤٧٢م، دخل الأمير يشبك الدوادار الذي كان قد خرج بجيشه للقضاء على ذلك الثائر وأمامه الأمراء الذين كانوا معه في التجريدة وإصطفت الناس على الدكاكين للفرجة على شاه سوار المقبوض عليه، وزفته المغانى من باب النصر إلى سلم المدرج[١٣٢]، وفي عام ٦٩٨هـ/ ١٢٩٨م، كُتب بإحضار سائر مغانى العرب بأعمال الديار المصرية كلها وذلك لمجئ السلطان الناصر محمد بن قلاوون منتصراً من الحرب، وسار السلطان الملك الناصر بعساكره وأمرائه حتى وصل القاهرة ودخلها[١٣٣] فاستقبلته المغانى بالطبول والغناء والفرح والسرور.

ولعبت المغنيات دوراً هاماً عند تولية السلطان للحكم عندما كان السلطان يتولى السلطنة فكانت تقام الزينات وتُضرب الكوسات، وتُصطف له المغانى من النساء في الدكاكين[١٣٤] فقد كان هذا الحفل يضم موكباً ضخماً من فئات المغنيين فتسير كل فئة بلباسها الخاص ومظهرها العام ومن بينهم السلطان المعين للحكم وقد لبس أفخر الثياب ومن حوله المغنون والمنشدون والراقصون والزامرون[١٣٥] فعندما حضر السلطان الناصر محمد بن قلاوون كانت

١٢٥. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص٣١٩.

١٢٦. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٤، ص٢٠٨، جرت العادة أن يصيح الرجال والنساء معاً صيحة عظيمة عالية يعتبرونها وداعاً للميت ويصحبها غالباً لطم الخدود . أنظر: سعيد عاشور، المجتمع المصري، ص ١٢١.

١٢٧. المقانع جمع مقنع ويقال مقنعه أيضاً وهى ما تغطى به المرأة رأسها وتكون أضق من القناع، حيث ورد أن القناع منديل يضعه الرجال والنساء فوق الرأس. المقريزى، السلوك، جـ٢، ق٢، ص٤٣٣.

١٢٨. ابن تغرى بردى، المنهل الصافى، جـ٦، ص٣٣١؛ المقريزى، السلوك، جـ٢، ق٢، ص٤٣٣.

١٢٩. المقريزى، السلوك، جـ١، ص١٣٨.

١٣٠. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ٦، ص٣٧٦؛ سعيد عاشور، المجتمع المصري، ص٢١٧.

١٣١. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ٦، ص٣٧٦؛ سعيد عاشور، المجتمع المصري، ص٢١٧.

١٣٢. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص٧٧.

١٣٣. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ٨، ص١٦٥.

١٣٤. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص١١٠؛ سعيد عاشور، المجتمع المصري، ص٢١٥.

١٣٥. محمد قنديل البقلى، الطرب، ص٢٨ – ٢٩.

المغانى في إستقباله حتى وصل إلى القاهرة لإستلام السلطة فرُسم بزينة القاهرة وكتب بإحضار سائر مغانى العرب كلها بأعمال الديار المصرية [١٣٦] فقد إحتفل بحضوره في حضور المغنيين والمغنيات، وعندما تولى الناصر محمد بن قلاوون الحكم للمرة الثالثة أوقدت الحوانيت كلها إلى ميدان الرميلة وسوق الخيل، ورُصَّت المغانى وأرباب الملاهى في عدة أماكن ونثرت عليهم الدراهم فكان يوماً عظيماً[١٣٧]، وعندما تسلطن الظاهر برقوق للمرة الثانية عام ٧٩٢هـ/ ١٣٨٩م، جلس بالقصر وخلع على الأمراء وأرباب الوظائف ثم قام ودخل إلى الدور السلطانية إستقبلته المغانى بالتهانى[١٣٨] من كل مكان وكان للمغانى دوراً كبيراً عند استقبال السلطان فرحاً به.

كان للمغانى دوراً عظيماً أيضاً عند تأمير أبناء السلاطين ومماليكه، ففي عام ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م، أمرّ السلطان إثنين وثلاثين أميراً من مماليكه ... وركبوا جميعاً بالشرابيش، وشقوا القاهرة، وأوقدت الحوانيت كلها، ورُصعت المغانى وأرباب الملاهى في عدة أماكن ونثرت عليهم الدراهم فكان يوماً مشهوداً[١٣٩]، وعندما عزم السلطان الناصر محمد بن قلاوون على تأمير (أن يؤمَّر) إبنه ٧٣١هـ/ ١٣٣٠م، أحمد الذي أحضره من الكرك، ركب الأمير بكتمر الساقى وسائر الأمراء وجميع الخاصكية إلى القبة المنصورية ببين القصرين في خدمة الأمير أحمد وهو بشربوش وعلى رأسه سنجق[١٤٠]، وأُمرَّ معه أيضاً ثلاثة أمراء عشراوات[١٤١] وألزم الأمير ناصر الدين بن المحسنى والى القاهرة جميع أرباب الحوانيت بالقاهرة أن يوقدوا الشموع والقناديل ويزينوا القاهرة، فزينوا الأسواق وأشعلوا الشموع والقناديل، وجلس أرباب الملاهى في عدة أماكن يضربون بآلاتهم فرحاً بتأمير أحمد بن السلطان الناصر محمد بن قلاوون[١٤٢].

للمغنيات دوراً آخر عند إلقاء القبض على الأمراء والإفراج عن آخرين، ففي عهد الناصر محمد بن قلاوون عام ٧١٠هـ/ ١٣١٠م، كان السلطان قد قرر مع مماليكه القبض على عدة من الأمراء وأن كل عشرة يقبضون على أمير ممن عينهم، بحيث يكون العشرة عند دخول الأمير مُحتفى به فإذا رفع السماط وإستدعى السلطان أمير جاندار قبض كل جماعة على من عُين لهم فعندما حضر الأمراء في الخدمة أحاط بهم المماليك ففهموا المقصود وجلسوا على السماط فلم يتناول أحد منهُم لُقمة، وعندما نهضوا أشار السلطان إلى أمير جاندار فتقدم إليه وقبض الأمير على الأمراء المعنيين وعدتهم إثنان وعشرون أميراً فلم يتحرك أحداً منهم، وركب الجميع بالخلع والشرابيش من المدرسة المنصورية ببين القصرين (شارع المعز لدين الله الآن) وشقوا القاهرة، وقد أوقدت الحوانيت كلها، وصُفت المغانى وأرباب الملاهى في عدة أماكن ونثرت عليهم الدراهم فكان يوماً مشهوداً[١٤٣].

١٣٦. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ٨، ص١٦٥.
١٣٧. المقريزى، السلوك، جـ٢، ق١، ص٧٧.
١٣٨. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٢، ص٣٥.
١٣٩. المقريزى، السلوك، جـ٢، ق٢، ص٣٣٥.
١٤٠. يعبر عن رمح وإن عني بها معنى اللواء، أنظر: القلقشندي، صبح الأعشى، جـ٤، ص٥، وهو ولفظ تركي استعمل بمعنى العلم أو الراية أو بمعنى الرمح أو اللواء، أنظر : محمد أحمد دهمان، معجم الألفاظ، ص٧٣.
١٤١. أميرعشرة رتبة عسكرية في الجيش المملوكي ونصيب كل منهم في الحرب أمرة عشرة فرسان، ومن هذه الطبقة يعين صغار الولاة، انظر: محمد أحمد دهمان، معجم الألفاظ، ص٢٢.
١٤٢. المقريزى، السلوك، جـ٢، ق١، ص٧٧.
١٤٣. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ٩، ص١٢ – ١٤.

ففي حوادث سنه ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م، عندما قدم الأمير ملكتمر الحجازى من سجنه في الإسكندرية فإن خوند الحجازية زوجته تلقته بجواريها وخدامها ومغانيها تضرب بالدفوف فرحاً به[١٤٤].

والمثير للدهشة هنا أيضاً هو أن المغانى كانت تلعب دوراً أيضاً عندما كان السلطان يعاقب جواريه، فقد كان السلطان الملك المنصور حاجى عام ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م، إذا ضرب أحداً من جواريه يتجاوز ضربه لهن الخمسمائة عصاة فكان الملك الظاهر عندما يسمع صياحهن يُرسل يشفع فيهن، فلا يمكنه المخالفة فيُطلق المضروبة وعنده في نفسه منها كمين كونه ما إشتفى فيها وكان له جوقة مغان كاملة من الجوارى، كما كانت عادة الملوك والأمراء تلك الأيام نحو خمس عشرة واحدة يُعرفن من بعده بمغانى المنصور، فعندما صار الملك الظاهر برقوق يشفع في الجوارى لما يسمع صياحهن بقى المنصور إذا ضرب واحدة من جواريه يأمر مغانيه أن يزفوا بالدفوف وتزعق المواصيل فتصرخ الجارية المضروبة فلا يسمعها الملك الظاهر ولا غيره، ففطن بذلك حريم السلطان الملك الظاهر وأعلموه الخبر وقلن له إذا سمع السلطان زف المغانى في غير وقت المغنى فيعلم السلطان أنه ضرب جواريه وخدمه فعلم الظاهر ذلك فصار كلما سمع المغانى تزف وتُغنى أرسل إليه في الحال بالشفاعة[١٤٥].

وعلى الرغم من أن مهنة الحسبة هي الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إلا أن طائفة المغانى لعبت دوراً عند خلع محتسب ورجوع محتسب آخر، ففي عام ٧٨٢هـ/ ١٣٨٠م خلع على جمال الدين محمد العجمى، وأُعيد إلى حسبة القاهرة، ففرح العامة به فرحاً زائداً، وكادوا يحملون بغلته وهو عليها بالخلعة، وصبوا ماء الورد عليه وعلى من معه ومن الزعفران الذي تخلقوا به شيئاً كثيراً، وبالغوا في إشعال الشموع والقناديل بالقاهرة، ووقفت له المغانى تزفه إذا مر بها في مواضع عديدة، وكان يوماً مشهوداً، وذلك أنه قد تعذر وجود الخبز بالأسواق وظل الخبز مختفى من الأسواق عدة أيام، فظنوا أن قدوم الجمال المحتسب الجديد يكون مباركاً فكان كما ظنوا[١٤٦]، ففي عام ٨٦٠هـ/ ١٤٥٥م، حصل للقاضى ناظر الخاص[١٤٧] مرض في صوته فانقطع عن الخروج ثم شُفيَ بعد ذلك وطلع إلى القلعة فأخلع عليه السلطان ونزل من القلعة في موكب حافل وأمامه أرباب الدولة وأعيان الناس وزينت له القاهرة من بيته إلى القلعة وجلست المغانى على الدكاكين يحتفلون به وكان يوماً مشهوداً[١٤٨]، وقد فرح الناس بقاضى القضاة كمال الدين عندما طلبه السلطان الغورى ٩١٦هـ/ ١٥١٠م، وخلع عليه وشق القاهرة في موكب حافل وزفته المغانى بالطبل والزمر[١٤٩].

بالإضافة إلى ذلك عندما كان ينتهى العمل من بناء قصر أو أى شيء خلفه لنا سلاطين المماليك من آثار معمارية فقد كان السلاطين يحتفلون بذلك بمجرد إنتهاء العمل منه، ففي عام ٧١٤هـ/ ١٣١٤م، عندما إنتهي العمل من القصر

١٤٤. المقريزى، السلوك، جـ٢، ق٣، ص٥٩٥.
١٤٥. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١١، ص ٣٨٠ – ٣٨١.
١٤٦. المقريزى، السلوك، جـ٣، ق١، ص٣٩٥.
١٤٧. النظر هو رأي العين لأنه يدير نظرة في أمور ما ينظر فيه وإما من النظر بمعنى الفكر لأنه فيه المصلحة من ذلك، والناظر هو المشرف، انظر: حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف، جـ٣، ص١١٧٧، ومن أهم الأمور التي يتحدث بها ناظر الخاص هو التحدث فيما هو خاص بمال السلطان من إقطاعه أو نصيبه من أموال الخراج وبلاد الجباية مما هو خارج عن الأموال العامة، ولم يستطيع أن ينفذ أي أمر من الأمور إلا بمراجعة السلطان. أنظر: القلقشندي، صبح الأعشى، جـ٤، ص ٣٠؛ حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف، جـ٣، ص١٢٠٨.
١٤٨. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص٣٣٥.
١٤٩. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٤، ص١٨٩.

الكبير الأبلق[١٥٠] بالقلعة أوْلَمَ السلطان الناصر محمد بن قلاون في ذلك اليوم وجمع القضاة الأربعة وسائر الأمراء وقرأ خِتمة ومدَّ سماطاً حافلاً، ثم أحضر أخر الليل المغانى وأرباب الآلات، وبات بالقصر تلك الليلة، وأحرق حراقة نفط بالرملة، وكانت ليلة ملوكية لم يسمع بمثلها[١٥١].

وفي عهد السلطان قانصوه الغورى سنه ٩١٨هـ/ ١٥١٢م، عندما توجه نحو المقياس وجلس في القصر الذي أنشأه هناك وكان معه جماعة من الأمراء فأقام هناك طوال اليوم وإنشرح في ذلك اليوم إلى الغاية، وكانت هناك موائد حافلة، وأحضر بين يدية المغانى وأرباب الآلات[١٥٢]، وفي عام ٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م، تم الإحتفال بالإنتهاء من العمل في بناء مدرسة السلطان التي أنشأها بالشرابشيين فعمل هناك في تلك الليلة وليمة حافلة وحضر فيها الخليفة المستمسك بالله يعقوب والقضاة الأربعة وأعيان الناس والمباشرين والأمراء وحضر في تلك الليلة قراء البلد والوعاظ ومدَّ أسمطة حافلة وعمل هناك أوقدة حافلة وزينت الدكاكين وحضرت المغانى وكانت تلك الليلة من الليالى المشهوده[١٥٣].

بالإضافة إلى أنهن أى المغانى كنُ يقمن بدور التشهير والتجريس وهى أن يُطاف بالشخص على حماراً أو ثور ويضرب الجرس على رأسه وأحياناً تزفه المغانى ويوضع في عنقه ماشة وهون[١٥٤].

فعلى سبيل المثال لا الحصر أنه في عام ٨٢٠هـ / ١٤١٧م، ظهر دور المغانى في التشهير بوالى دمياط، ففي هذا العام وقعت فتنة بدمياط قتُل فيها الوالى، فمنذ أن بدأت دولة الظاهر برقوق وعهده كانت أعمال مصر لا يتولاها والى إلا وقام بدفع مال يلتزم به[١٥٥].

وظهر دور المغانى في حالات المُصادرة، فعندما صُودر النشو في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون نزل الأمراء إلى منزله لإخراج حواصل النشو، وهي عبارة عن التحف والصينى والبللور والذهب وغير ذلك، وزينت القاهرة ومصر بسبب القبض على النشو زينة هائلة وعُملت أفراح كثيرة[١٥٦] ظهر دور المغانى فيها بالدفوف والرقص.

هكذا كان لسلاطين المماليك حفلات سمر خاصة يجمعون فيها المغنيين والمغنيات فقد كانوا ينتهزون كل فرصة فكلما أنشأوا مسجداً أو مدرسة أقاموا حفلاً، وكلما إنتقلوا من مكان إلى مكان أقاموا لذلك حفلاً، والغريب كما سبق أن ذكرنا أن لعب الكرة في عهدهم كان له هو الآخر حفل بختامه[١٥٧].

هذا وقد كانت قلة قليلة من سلاطين دولة المماليك تكره اللهو والطرب، فعندما كانت الملوك السالفة تهوى النزهة والطرب، وعُمرت في أيامهم بولاق وبركه الرطلى[١٥٨] وغيرها من الأماكن، نجد أن هناك من السلاطين من كره

١٥٠. ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، جـ٧، ص٦.
١٥١. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص٤٤٥.
١٥٢. عبد الوهاب عزام، مجالس السلطان الغورى، ص١٥ – ١٧؛ على السيد على، الجوارى، ص٩١.
١٥٣. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٤، ص٥٢ – ٥٣.
١٥٤. سعيد عاشور، المجتمع المصرى، ص١١٠.
١٥٥. المقريزى، السلوك، جـ٤، ق١، ص٤٢٩ – ٤٣٠.
١٥٦. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ٩، ص١٣٨.
١٥٧. محمد قنديل البقلى، الطرب، ص٤١.
١٥٨. كانت بركة الرطلى تعرف بإسم بركة الطوابين، إذ كان الطوب يعمل فيها وهى بجانب الخليج الذي أعاد حفره الناصر محمد بن قلاوون، وعُرفت كذلك باسم بركة الحاجب، لأنها كانت بيد الأمير بكتمر الحاجب أحد أمراء الناصر محمد ثم إشتهرت بإسم بركة الرطلى لوجود شخص بجانبها كان يصنع الأرطال الحديد التي تزن بها الباعة . أنظر : المقريزى، الخطط، جـ٢، ص١٢٥ – ١٦٢.

اللهو والطرب وسار في سلطنتة على قدم هائل من العبادة والعفة عن المنكرات والفروج، فالسلطان الظاهر بيبرس أمر بإزالة الخمور وإبطال الفساد، والخواطئ من القاهرة ومصر، بل وجميع أعمال مصر، فطُهِّرت كلها من المنكر، ونُهبت الخانات التي كان يقيم بها أهل الفساد وسُلبت جميع أحوال المفسدات، وحبسن حتى يتزوجن، ونفى كثير من المفسدين وكتب السلطان الظاهر بيبرس بمثل ذلك وحط وألغى الضرائب وما كان يؤخذ من هذه الجهات من الضرائب، وعوض المقطعين جهات حلالاً[١٥٩].

وظل ذلك حتى عام ٦٧٠هـ/ ١٢٧٠م، فقد كان متشدداً في إراقة الخمور وإزالة المنكرات فكان يوماً مشهوداً[١٦٠] وعندما حضر الشيخ شمس الدين بن دانيال إلى مصر عمل مقامة لطيفة، فقال:عندما جئت من الموصل إلى مصر في دولة الظاهر بيبرس، وجدت تلك الرسوم دارسة، ومواطن الأنس بها غير آنسة، وأرباب المجون والخلاعة عابسة، وقد هزم السلطان جيش الشيطان، وتولى الحرّانى والى القاهرة إهراق الخمور، وحجر على البغايا والخواطى ....[١٦١] وقال قاضي الإسكندرية ناصر الدين بن محمد بن منصور بن أبى بكر بن قاسم بن مختار المنير، عندما وردت إليه المراسيم بالإسكندرية وعفى متوليها أثر المحرمات.

لـميـس لإبـلـيـس عـنـدنـا أرب — غـيـر بـلاد الأمـيـر مـأواه
الـخـمـر والـحـشـيـش مـعـاً — حَـرمـتْـهَ مـاءه ومـرعـاه

وقال أبو الحسين الجزار:

قـد عُـطّـل الـكـوب مـن حبابه — وأخـلـى الـثـغـر مـن رضـا به
وأصـبـح الـشـيـخ وهـو يبكي — عـلـى الـذي فـات مـن شبابـه

والمثير للدهشة أنه في عهد الظاهر برقوق قل الفساد والمنكرات، حتى قيل عنه أنه أصلح من تولى مُلك مصر من طائفة السلاطين المماليك في أمر الدين والتقوى فإنه قمع المفسدين والجبارين من كل طائفة، وكسدت في أيامه أحوال المغانى وأرباب الملاهى[١٦٢] وأصبح غالب أمرائه وجنده من الصالحين وبقى معظمهم يصوم الأيام في الشهر، ويعف عن المنكرات، هذا كله بخلاف ما كان عليه كثير من الملوك السابقين، فإنه كان غالبهم يقع فيما ينهى عنه[١٦٣].

وقد كان السلطان الظاهر جقمق يكره اللهو والطرب ويحب مجالسة الفقهاء[١٦٤] فهو من السلاطين الأتقياء، وسار في سلطنته على قدمٍ هائل من العبادة والعفة عن المنكرات والفروج، وأخذ في مقت بل وتعقب من كان يتعاطى المسكرات من أمرائه وأرباب دولته فعند ذلك تاب أكثرهم وأصبحوا صالحين وتزهدوا في العبادة[١٦٥].

١٥٩. المقريزى، السلوك، جـ١، ق٢، ص٥٥٣-٥٥٤، ٥٧٨ ؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص٣٢٦.
١٦٠. المقريزى، السلوك، جـ١، ق٢، ص٥٩٧؛ الشهاوى، الحسبة في مصر الإسلامية، ص١١٥.
١٦١. ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، جـ١٣، ص٤٣؛ السيوطى، حُسن المحاضرة، جـ٢، ص٢٠٩؛ المقريزى، السلوك، جـ١، ص٥٧٨، جـ٢، ص١٥، جـ٤، ص٤٧١؛ العماد الحنبلى، شذرات الذهب، جـ٧، ص٥٦٤؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص٣٢٦-٣٢٧.
١٦٢. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٥، ص٤٥٨.
١٦٣. ابن تغرى بردى، المنهل الصافى، جـ٤، ص٢٩.
١٦٤. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٥، ص٤٥٩؛ ابن تغرى بردى، المنهل الصافى، جـ٤، ص٢٩٨.
١٦٥. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٥، ص٣٤٨.

والشيء الذي يجب أن ننتبه إليه هنا هو أن ما كان يفعله السلطان الظاهر جقمق كان يسُرّ الناس ويُسعد قلوبهم، ففى عام ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م، أبطل السلطان ما كان يعُمل بقلعة الجبل من الزفة بالمغانى، والمواصيل والخليلية عند غروب الشمس، وعند فتح باب القلعة من أول النهار وبعد عشاء الأخرة التي يقال لها نوبة خاتون، ورسم لأرباب هذه الوظائف أن يمضوا إلى حال سبيلهم فعظم ذلك على الناس[١٦٦]، حقاً الناس على دين ملوكهم .

ومن السلاطين من إختلف موقفه من وقتٍ لآخر فتارة يشجع وجود الغناء وتارة لا يشجعها (دون وجود أزمات إقتصادية)، ففي عهد السلطان المنصور سيف الدين قلاوون ٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م، وصل ناصر الدين محمد بن محمود صاحب حماة إلى القاهرة فركب السلطان وذهب لإستقباله، وإهتم به إهتماماً كبيراً ورُسم بتضمين الخمر، فظهر شرب الخمر وكثر السكارى، وزال الإعتراض عليهم، ولكن ظل ذلك أيام قليلة فقط، حتى صدرت الأوامر بإراقة الخمور وإبطال ضمانها، ومُنع من التظاهر بشيء من المنكرات جميعها[١٦٧].

هذا وقد تصدى بعض أمراء المماليك أيضاً إلى مظاهر الإنحلال والفساد التي تظهر واضحة خاصة عند أماكن النيل بسبب تجمع المغاني في هذه الأماكن فقد منع الأميران بيبرس وسلار المراكب من دخول الخليج الحاكمى للفرجة[١٦٨] كذلك منع الأميران برقوق وبركة عام ٧٨١هـ/ ١٣٧٩م، من دخول الخليج الناصرى بسبب ما ينتهك في المراكب من الحُرمات ويتجاهر به من الفواحش والمنكرات[١٦٩] وكل هذا كان يحدث بسبب تجمع المغانى هناك إيضاً.

– إرتفاع قدر المغنيات بزواجهن من سلاطين المماليك:

شغف سلاطين المماليك شغفاً كبيراً بالغناء والمغنيات وأغدقوا عليهم الكثير والكثير[١٧٠]، فقد إرتفع شأن العديد منهن مثلما حدث مع إتفاق العوادة وذلك عندما أفرط الملك الصالح إسماعيل في حبها[١٧١] وفي العطاء لها وقرب أرباب الملاهى وأعرض عن تدبير المُلك بإقباله على النساء والمطربين[١٧٢] هذا وقد تزوجها الصالح إسماعيل، وعندما تسلطن الملك الكامل شعبان نالت إتفاق المُغنية في عهده من الحظ والسعادة مالا عُرف في زمانها لإمرأة، وباتت عنده من ليلته أول ما تسلطن لما كان في نفسه منها أيام أخيه[١٧٣]، وإرتفع شأن المغنية إتفاق العواده في عهد الملك المظفر حاجى عام ٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م، فتزوجها وأنعم عليها، وفرش تحت رجليها ستون شقة أطلس، ونثر عليها الذهب ثم ضربت بعودها وغنت فأنعم السلطان عليها بأربعة فصوص وست لؤلؤات ثمنها أربعة آلاف دينار[١٧٤]، هذا وقد كانت

١٦٦. ابن تغرى بردى، حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، جـ٢، ص٣٣٩ – ٣٤٠؛ السخاوى، الضوء اللامع، جـ٣، ص٧٢.
١٦٧. المقريزى، السلوك، جـ١، ق٣، ص٦٦٨.
١٦٨. المقريزى، الخطط، جـ٢، ص١٤٢، (بولاق).
١٦٩. المقريزى، الخطط، جـ٢، ص١٥٠؛ السيوطى، حسن المحاضرة، جـ٢، ص٣٠٦؛ قاسم عبده قاسم، النيل والمجتمع المصري، ص٥٠.
١٧٠. سعيد عاشور، المجتمع المصري، ص١١٦.
١٧١. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٠، ص٩٦، حاشية٤؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ١، ص٨٣.
١٧٢. ابن تغرى بردى، النجوم الزهرة، جـ١٠، ص٩٨.
١٧٣. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٠، ص١٥٠.
١٧٤. ابن تغرى بردي، النجوم الزاهرة، جـ١، ص٢٥٤؛ المقريزى، السلوك، جـ٢، ق٣، ص٧٢١ ؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ١، ص٨٤.

أم السلطان الملك الناصر أحمد إسمها بياض، وكانت تجيد الغناء وكانت من عتقاء الأمير بهادر آص رأس نوبة[١٧٥] وكانت تعرف بقومة[١٧٦] وكان للناس بها إجتماعات في مجالس أُنسهم، فلما بلغ السلطان الملك الناصر خبرها طلبها وإختص بها وحظيت عنده، فولدت أحمد هذا على فراشه، ثم تزوجها بعد ذلك الأمير ملكتمر السرجوانى في حياة الملك الناصر محمد بن قلاوون[١٧٧]، وكذلك نسمع عن شهد دار وكانت بديعة في الحُسن والجمال، تزوجها المقر الشهابى أحمد بن الجيعان أحد كبار الأمراء المماليك وشغلته عن تدبير أحوال المملكة وكانت تحسن الضرب بالسبع آلات المطربة[١٧٨].

- المغانى سبب في الإطاحة بالسلاطين وخراب الدولة:

وقيل أن المغانى كانت سبباً في الإطاحة بالسلاطين المماليك إلى جانب أنهم كانوا أيضاً سبباً في خراب البلاد، ففي عهد الملك المنصور أبى بكر بن الملك الناصر محمد بن قلاوون ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م، صار السلطان في الليل يطلب الغلمان لإحضار المغانى، فغلب عليه السُكر في بعض الليالي فصاح من الشباك على الأمير أيدُغمش أمير أخور[١٧٩] هات لى قطقط[١٨٠] فقال أيدُغمش: يا خوند ما عندى فرس بهذا الإسم، فتكلم بذلك السلاخورية[١٨١] والركابية[١٨٢] وتداولته الألسنة، فمن المحتمل أن يكون قطقط إمرأة مغنية ... فلما زاد أمره طلب الأمير قوصون طاجار الدوادار والشهابى شاد العمائر وعنفهما ووبخهما وقال لهما: سلطان مصر يليق به أن يعمل مقامات ويُحضر إليه البغايا والمغانى، أهكذا كان يفعل والده[١٨٣].

١٧٥. هو لقب على الذي يتحدث على مماليك السلطان أو الأمير، وتنفيذ أمره فيهم والمراد بالرأس هنا الأعلى آخذاً من رأس الإنسان لأنه أعلاة، والنوبة واحدة النوب وهي المرّة بعد الأخرى، والعامة تقول لأعلاهم في خدمة السلطان رأس نوبة النوب، و المقصود علوّ صاحب النوبة لا النوبة نفسها والصواب فيه أن يقال رأس رؤس النوب أى أعلاهم . أنظر : القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٥، ص٤٥٥؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٠، ص٧٩.

١٧٦. في السلوك كانت شهرتها قونية، أنظر: ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٠، ص٥٠، حاشية١.

١٧٧. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٠، ص٥٠ ؛ المقريزى، السلوك، جـ٢، ق٣، ص٥٩٣ – ٥٩٤، محمد قنديل البقلى، الطرب في العصر المملوكى، ص٤٨.

١٧٨. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص٢٢٠.

١٧٩. هو المشرف على اسطبل السلطان وخيوله ويسكن بالاسطبل السلطاني، انظر: محمد أحمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص٢٠.

١٨٠. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٠، ص١٢.

١٨١. ذكر صاحب صبح الأعشى أن السراخور هو الذي يتحدث على علف الدواب من الخيل وغيرها وهو مُركب من لفظين فارسيين : أحدهما سراً ومعناه الكبير والثانى خور ومعناه العلف، ويكون المعنى كبير العلف، والمراد كبير الجماعة الذين يتولون علف الدواب، وبعضهم يقول سلاخور أو السلاخورية كما ذكر المؤلف وهو تحريف في أصل الكلمه صوابه السراخورية. أنظر: القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٥، ص٤٦٠؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٠، ص١٢.

١٨٢. الركابية: هم الذين يركبون خيول السلطان والأمراء لتسييرها وترويضها أو لتدريبها على السباق: ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٠، ص١٢، حاشية ٣.

١٨٣. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٠، ص١٢.

فما حدث لم يكن يعجب الأمراء، فُخلع الملك المنصور أبو بكر من السلطنة وسلم القلعة بغير قتال، وقد كان المجون واللهو والخلاعة ووجود أرباب المغانى عنده طوال الوقت وطلبه أن يحضروا إليه بالليل[١٨٤] كان من أسباب خلعه والإطاحة به، وفي عهد الملك الكامل شعبان عام ٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م، قيل أنه خُربت بلاد كثيرة في عهده لشغفه وعكوفه على معاقرة الخمور وسَمْع الأغانى[١٨٥].

رأى الفقهاء في الأغانى

على الرغم من تشجيع السلاطين المماليك للغناء إلى جانب عامة الشعب إلا أنه كان للفقهاء رأى في الغناء، فقد ذكر ابن الحاج في كتابه المدخل إلى الشرع الشريف أن الشيخ الإمام أبو بكر الطرطوشى رحمه الله في كتابه المسمى بكتاب النهى عن الأغانى وقد كان الناس فيما مضى يستتر أحدهم بالمعصية إذا واقعها ثم يستغفر الله ويتوب إليه إزداد الأمر إدباراً حتى بلغنا أن طائفة من إخواننا المسلمين وفقنا الله وإياهم إستزلهم الشيطان واستهوى عقولهم في حب الأغانى واللهو وسماع الطقطقة وإعتقدته من الدين الذي يقربهم من الله تعالى وجاهرت به جماعة من المسلمين وشاقت به سبل المؤمنين وخالفت العلماء والفقهاء[١٨٦] وحملة الدين، وقد قال الإمام مالك إنما يفعله عندنا الفساق ونهى عن الغناء وإستماعه، أما أبو حنيفه رحمه الله فإنه يكره الغناء ويجعله من الذنوب، وأما الشافعى رضى الله عنه فقال في كتاب أدب القضاء أن الغناء لهم مكروه ويشبه الباطل والمحال، وأما سماعه من المرأة فإن أصحاب الشافعى مجموعة على أنه لا يجوز بحال سواء كانت مكشوفة أو من وراء حجاب وسواء كانت حرة أو مملوكة قال الشافعى وصاحب الجارية إذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته وغلظ القول فيه، وقال هو دياثة فمن فعل ذلك كان ديوثاً، وكان الشافعى يكره الطقطقة بالقضيب ويقول وضعته الزنادقة ليشغلوا به المسلمين عن القرآن، وأما العود والطنبور وسائر الملاهى فحرام ومستمعه فاسق وقال صلى الله عليه وسلم «من فارق الجماعة قيد شبر مات ميتة الجاهلية» وهذه الطائفة مخالفة لجماعة المسلمين لأنهم جعلوا الغناء دينا وطاعة، قال الحسن ومجاهد والنخعى هو الغناء، وقال ابن مسعود لهو الحديث الغناء والإستماع إليه[١٨٧]، ﴿أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون﴾[١٨٨] قال ابن عباس رضى الله عنهما سامدون هو الغناء بلغة حمير، وقال مجاهد هو الغناء لقول أهل اليمن سمد فلان إذا غنى، وروى أبو إسحاق ابن شعبان في كتاب الزاهى بإسناده أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «لا يحل بيع المغنيات ولا شراؤهن ولا التجارة فيهن»[١٨٩]، وروى أبو هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «يمسخ قوم من أمتى آخر الزمان قردة وخنازير قالوا يا رسول الله مسلمون هم قال نعم يشهدون أن لا إله

١٨٤. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٠، ص١٦.
١٨٥. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٠، ص١٤.
١٨٦. ابن الحاج، المدخل إلى الشرع الشريف، جـ٣، ص١٠٠.
١٨٧. ابن الحاج، المدخل، جـ٣، ص١٠١.
١٨٨. قرآن كريم، سورة النجم، الأية رقم ٥٩– ٦٠.
١٨٩. ابن الحاج، المدخل، جـ٣، ص١٠٢.

إلا الله وأنى رسول الله ويصلون ويصومون قالوا يا رسول الله فما بالهم قال إتخذوا المعازف والقينات والدفوف وشربوا هذه الأشربة فباتوا على شرابهم فأصبحوا وقد مسخوا»[١٩٠]، وذكر ابن الحاج أن صوت المعازف وإستماع المغانى واللهو بها ينبت النفاق في القلب كما ينبت العشب على الماء، وذكر أن يزيد بن الوليد قال يا بنى أمية إياكم والغناء فإنه يزيد الشهوة ويهدم المروءة، وإنه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعل المسكر فإن كنتم لابد فاعلين فجنبوه النساء فإن الغناء داعية الزنا[١٩١].

ضريبة ضمان المغانى وموقف الفقهاء منها

هي من الموارد المالية غير الشرعية، ولجأت إليها الدولة عندما قلت إبراداتها المالية، فبدأت تفرض الضرائب والمكوس[١٩٢] المختلفة بكافة أشكالها وأنواعها بصورة شديدة على العباد وكانت تلك الضرائب لا تفرض على الأرض الزراعية أو على الرؤوس، وإنما تفرض على الإنتاج، وكان هذا النوع من الضرائب يثير حفيظة الفقهاء حيث يعتبرونه غير مشروع إذ أن التجارة في الإسلام ليس عليها أى ضرائب[١٩٣] وإتخذت أسماء مختلفة منها هلالى أى الأموال الهلالية[١٩٤]وقد كان للفقهاء والقضاة رأى في ضمان المغاني على عهد السلطان الأشرف شعبان ففي عام ٧٧٥هـ/ ١٣٧٣م، إجتمع قاضي القضاة برهان الدين إبراهيم ابن جماعة والشيخ سراج الدين عمر البلقيني بالسلطان وعرفاه ما في ضمان المغاني من المفاسد والقبائح، فسمح السلطان بإبطاله، وكتب مرسوم إلى الوجه القبلى والوجه البحري، بعد ما قرئ على منابر القاهرة ومصر، فبطل ضمان المغاني وكان يتحصل منه مال كبير جداً وزال بزواله منكر شنيع[١٩٥].

وعلى الرغم من تقريب المغانى للسلطان الأشرف شعبان بن السلطان حسين إلا أنه ألغي ضمان المغاني عام ٧٧٨هـ/ ١٣٧٦م [١٩٦] هذا وقد بطل ضمان المغاني والأفراح بجميع مصر من أسوان إلى العريش وقد أعاده وزراء

١٩٠. ابن الحاج، المدخل، جـ٣، ص١٠٢.
١٩١. ابن الحاج، المدخل، جـ٣، ص١٠٥.
١٩٢. مفردها مكس بمعنى ضريبة أسواق معروفة من قبل في العصر الجاهلي، وكلمة مقس إسم قرية على ساحل النيل في شمال القاهرة، وكانت تعرف بإسم أم دنين، وسميت بعد ذلك بهذا الأسم لأن الماكس كان يقعد بها ليستخرج المكس فكلمة مقس تحريف لكلمة مكس . أنظر: سيدة الكاشف، مصر في عصر الولاة، ص٤٠؛ أحمد الصاوى، مجاعات مصر الفاطمية، ص١٤٢، حاشيه ١؛ المسَّجى، أخبار مصر، تحقيق: أيمن فؤاد سيد وتييرى بيانكى، ص٢٠، حاشية٤.
١٩٣. راشد البراوى، حالة مصر الإقتصادية، ص٣٤٠؛ ضياء الدين بيبرس، الخراج والنظم المالية للدولة الفاطمية، ص١٣٩.
١٩٤. المال الهلالى هو عدة أبواب أحدثها ولاة السوء شيئاً بعد شيء ... وقيل أن عمر بن عبد العزيز نهى عن ذلك وكتب ضعوا عن الناس هذه المكوس فليس بالمكس ولكنه النجس، وأول من أحدث مالاً سوء، هو أحمد بن المدبر لما ولى خراج مصر بعد سنه خمسين ومائتين واستمرت إلى الدوله الفاطميه. أنظر: المقريزى، الخطط، جـ١، ص١٠٣ – ١٠٤ (بولاق) وكانوا يطلقون على الضرائب المختلفة من المكوس اسم المال الهلالى: أنظر راشد البراوى، حالة مصر الإقتصادية، ص٣٤٠. وكانت هذه الضرائب يتم تحصيلها من أصحاب الحرف المختلفة ....، ابن تغرى بردى، النجوم، جـ٩، ص٤٩، حاشية٣ ؛ حسنين ربيع، النظم المالية، ص ٤٨؛ المقريزى، الخطط، جـ١، ص١٠٧؛ ابن مماتى، قوانين الدواوين، ص٣٤١.
١٩٥. المقريزى، السلوك، جـ٣، قـ١، ص٢١٧ .
١٩٦. المقريزى، السلوك، جـ٢، قـ٢، ص٤٩٢؛ المقريزى، الخطط، جـ١، ص١٠٦ (بولاق)؛ سعيد عاشور، المجتمع المصري، ص١٣٩ .

السوء لكثرة ما يتحصل منه[١٩٧]،وفي عهد الظاهر برقوق ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م، كان له موقف من المغُنيين والمُغنيات، فأبطل ضمان المغاني بالكرك والشوبك ومن منية ابن خصيب[١٩٨] وزفته من أعمال مصر[١٩٩].

كل هذه محاولات من جانب سلاطين الدولة لإلغاء هذا المبلغ الذي أطلق عليه الضمان لكن سرعان ما كان يتجدد وبخاصة في دولة المماليك الچراكسة أي منذ أواخر القرن الرابع عشر وطوال بقية عصر سلاطين المماليك، وربما كان الدافع في عدم إلغائه نهائياً هو سوء الأحوال المالية والإقتصادية التي أخذت تعانى منها البلاد منذ أوائل القرن الخامس عشر للميلاد[٢٠٠]، فكثيراً ما كان يتوقف النيل عن الزيادة وينتشر الوباء، وينتج عن ذلك الإضطراب والفوضى ويُفسر ذلك في ضوء فساد أخلاقيات الناس، وإنشغالهم بأمور اللهو والفساد[٢٠١] فيقوم كبار المسؤولين من رجال الدولة بشن الحملات التفتيشية ومهاجمة أوكار الفساد وأماكن الفجور ومستودعات الحشيش.

فعندما لم يبلغ النيل الزيادة عام ٧٨٩هـ / ١٣٨٧م، أى حد الوفاء حدث إضطراب إقتصادى أعقبه غلاءاً فاحشاً، فأسرع الأمير سيف الدين سودون نائب السلطنة بمصر بالقبض على المتفرجين بالبحر وتوبيخهم، ثم قام بحملة هاجم فيها أماكن بيع الخمور، وأماكن الفساد التي يكثر فيها اللهو والمجون والخلاعة، هذا إلى جانب أنه إتخذ إجراء بكسر جرار الخمر تحت أسوار القلعة[٢٠٢]، وفي عام ٨٠١هـ/ ١٣٩٨م، أبطل الظاهر برقوق ضمان المغانى بمنية خصيب وأعمال الأشمونين وزفتا ومنية غمر من أعمال مصر[٢٠٣].

موقف سلاطين المماليك وكبار رجال الدوله من طائفة المغانى أوقات الأزمات الإقتصادية

على الرغم من شغف سلاطين المماليك بالغناء والمغانى وتشجيعهم لهم في مناسباتهم الخاصة والعامة مثل أفراحهم واحزانهم وإغداقهم الأموال الكثيرة عليهم إلا أننا نجد أن هؤلاء السلاطين إتخذوا موقفاً مختلفاً عند حدوث الأزمات الإقتصادية وحلول البلاء والوباء على المجتمع، ففي غالب الأحوال يفُسر الكثير حدوث الأزمات الإقتصادية والكوارث تفسيراً دينياً وأخلاقياً خالصاً فيرجعون أسبابها إلى غضب الله من جراء فساد الأخلاق وإنتشار الفسق والفجور وسيادة الظلم، وهنا يلجأ الناس سواء كانوا حكام ومحكومين إلى الدين، ويكثر

١٩٧. المقريزى، السلوك، جـ٣، قـ١، ص٢٦٦؛ ابن اياس، بدائع الزهور، جـ١، قـ٢، ص١٦٦-١٦٧.
١٩٨. منية ابن خصيب هي المدينة التى تعرف اليوم بإسم المنيا قاعدة مديرية المنيا بالوجه القبلي بمصر، وهي واقعة على الشاطئ الغربي للنيل سميت منية الخصيب. أنظر: ابن تغرى بردي، النجوم الزاهرة، جـ١١، ص٢٩١. وهي نسبة إلى الخصيب ابن عبد الحميد صاحب خراج مصر في عهد الخليفة هارون الرشيد العباسي، وكانت في الزمن الماضي إحدي قرى الأشمونين . أنظر: ابن تغرى بردى، المنهل الصافى، جـ٣، ص٣٤٠؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٢، ص١١٢.
١٩٩. المقريزى، السلوك، حـ٣، قـ٢، ص٩٤٥.
٢٠٠. على السيد على، الجوارى، ص٩٥.
٢٠١. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص٢٧٣– ٢٧٤؛ ابن تعرى بردى، النجوم الزاهرة، ص٧٥٨ – ٧٦٠.
٢٠٢. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٤، ص٧٦ – ٧٧؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، جـ٩، ص٩.
٢٠٣. المقريزى، السلوك، جـ٣، ق٢، ص٩٤٥.

إقبالهم على العبادة، وتقوم الحملات التي يرأسها الوالى أو غيره لمهاجمة أوكار الفساد، وما أن تنقضى الأزمة وتنقشع الغمة حتى تعود الأمور إلى سيرتها الأولى[٢٠٤].

فقد كان سلاطين المماليك يتظاهرون بالعدل والخوف على أرواحهم أثناء إنتشار الأوبئة فيعلنون عن إلغاء الكثير من الضرائب والمغارم والمظالم والكلف وبمجرد أن يزول الخطر ويقل الخوف تعود الضرائب الفادحة لتفرض على الناس كما كانت وزيادة[٢٠٥] ونتيجة لسوء الأحوال الاقتصادية كان يحدث تغير في عادات الناس سواء كانوا ملوكاً أو من عامة الشعب، وأحياناً أخرى ودون أن يحدث أزمات فقد يتخذ السلاطين موقف العداء من المغانى على الرغم من تشجيعهم لهم في وقت من الأوقات.

فنجد السلطان الناصر محمد بن قلاوون على الرغم من تشجيعه للغناء والمغنيين إلا أننا نجد أن موقفه قد تغير تماماً عام ٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م، ففي هذا العام طُلبت النساء المغانى وصودرن ما بين ثلاثة ألاف درهم وألفى درهم الواحدة وسَجن بالحجرة[٢٠٦] أياماً حتى تاب بعضهن عن الغناء وتزوج بقيتهن، وسبب ذلك أن الأمير آنوك بن السلطان كان يركب إلى جهة بركة الحبش وكان له بها حوشاً لطيوره وموضعاً يتنزه به، وأحضر إليه مغنية تُعرف بالزهرة، فشغف بها حتى بلغ السلطان ذلك فأسر السلطان للأمير أقبغا عبد الواحد أن يُلزم شاد المغانى والضامنة[٢٠٧] بعدم حضور المغانى مجالس الخمر وإقامة الفتن وإلزامهن بمال يقمن به عقوبة لهن على ذلك، وأكد عليه في أن يكون ذلك من غير أن ينسب إلى السلطان أنه أمر به رعاية لآنوك، فلما حدث ذلك شق على آنوك إمتناع المغنية التي تسمى زهرة عنه عدة أيام، إلى أن أتته سراً، ولهُىَ بها عن زوجته إبنة الأمير بكتمر الساقى حتى علمت أمه بذلك فلشفقتها عليه ترخصت له وأمكنته من هواه فخاف آنوك من السلطان، ودبر هو وبعض مماليكه حيلة أشغلت بال السلطان عنه وكتب ورقة يخيّله فيها من الأمير بشتاك والأمير أقبغا، وألقيت إلى السلطان فنّم بعض مماليكه للأمير آقبغا بذلك فبلغه السلطان فدخل إلى الدور وإستدعى آنوك وهمّ بقتله بالسيف فمنعته أمه وجواريه، فأرعد آنوك من الخوف ولزم الفراش، وتغير السلطان على لالاه أرغون العلائى وأقام طيبغا المجدى عوضه، ورسم ببيع الدار التي عمرها آنوك ببركة الحبش، فهذا يعتبر موقف عداء ولقد أثر الإمام ابن تيمية على السلطان الناصر محمد بن قلاوون وجعله يبطل ما كان يأخذه مهتار الطشتخاناه من البغايا والفواحش والمغانى، وكانت جملة مستكثرة وكبيرة، وكان ابن تيمية يعيب على الحكومة تهاونها مع شاربى الخمر ويقوم بمهاجمة الأماكن التي تباع فيها ويعاقب شاربيها وبشدة[٢٠٨].

ونتيجة للوباء الذي هلكت فيه البلاد والعباد عام ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م، فقد قُطعت رواتب المغانى[٢٠٩] إلى جانب عدم حدوث أفراح وأعراس بين الناس فلم تذكر المصادر والمراجع أن أحداً من الناس سواء الحكام أو المحكومين

٢٠٤. قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين المماليك، ص ٣٦٢ – ٣٦٦.
٢٠٥. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٤، ص ٧٧ – ٣٠٤.
٢٠٦. كان بالقاهرة مكان معين بهذا الأسم وأنه كان يستخدم لما يشبه الحبس أو الإعتقال لتلك الطبقة من النساء في مصر في العصور الوسطى، المقريزى، السلوك، جـ٢، ق٢، ص٤٩١، حاشيه٦.
٢٠٧. المقريزى، الخطط، جـ١، ص١٠٦؛ المقريزى، السلوك، جـ٢، ق٢، ص٤٩٢، حاشية١.
٢٠٨. www.fustat.com.
٢٠٩. المقريزى، السلوك، جـ٢، ق٣، ص ٧٤٨ – ٧٤٩.

قد قام بعمل عُرس في مدة حدوث هذا الوباء، ولا سُمع صوت غناء، فحط الوزير من ضمان المغانى عن الضامنة ثلث ما عليها[٢١٠]، فيحدثنا المقريزى عن بعض الإجراءات التي أُتخذت لتخفيف مصروفات الدولة وموازنتها مع الدخل، فعندما تولى منجك الوزارة عام ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م إجتمع بالأمراء، وقرأ لهم مصاريف الدولة ووفر الكثير من الرواتب .... وقطع رواتب المغانى[٢١١] هذا إلى جانب أن فرق الجوارى المغانى قد قل إستخدامها فقط عند بعض الناس[٢١٢] وكثيراً ما صدرت أوامر الحكام بمنع مراكب النزهة من السير بسبب مظاهر المجون والخلاعة التي تصاحب مثل هذه الرحلات النيلية[٢١٣]

من الملاحظ أن مثل هذه الأوامر الرادعة لم تكن تظهر إلا في أوقات الشدة والأزمات فإذا ما هدأت الأمور غض الحكام أبصارهم عن هذه الممارسة التي تكشف المصادر عن حرص المصريين عليها[٢١٤]، والدليل على ذلك أن الإحتفال بعيد الشهيد إتخذ طابعاً دينياً وعاماً في وقت واحد، وكان الاحتفال به يتم على شكل مهرجان كبير على ساحل النيل ناحية شبرا، وفي هذا العيد كان يخرج الناس جميعهم على مختلف أديانهم ليشاهدوا هذا الاحتفال، وكان يحدث من اللهو والمجون والخلاعة[٢١٥] في ظل وجود النساء المغانى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، وقد كانت ترتكب المعاصى علانية وتثور الفتن وتقع حوادث القتل[٢١٦] وكان المفسدون لا يجدون مانعاً من الحكام ولا الولاة ولا الحُجاب[٢١٧] ولكن ظهر من السلاطين من أبطل هذا العيد، وفى عام ٧٠٢هـ/ ١٣٠١م أبطل الأمير بيبرس الچاشنكيز الإحتفال بهذا العيد بسبب مظاهر الفساد والإنحلال التي كانت تصحبه في ظل وجود المغانى والغناء، وظل الأمر على ما هو عليه حتى عام ٧٣٨هـ/ ١٣٣٧م، وذلك حينما أعاد السلطان الناصر محمد بن قلاوون الإحتفال به لسبب غريب هو أن الأمير يلبغا اليحياوى والأمير الطنبغا الماردينى طلبا الخروج للصيد ولكن السلطان لم يوافق لشدة غرامه بهما، فعمل عيد الشهيد ليصرفهما عن الخروج للصيد[٢١٨]، وكانت مدة إبطاله ستاً وثلاثين سنة.

وعند النظر إلى ما سبق ذكره يجب أن نتوقف برهة فنذكر أن الفساد والإنحلال واللهو والخلاعة يوافق بها سلطان من أعرق سلاطين دولة المماليك لأنه قد قام بإنجازات رائعة في هذا الوقت فكيف له بل ولمصلحته الشخصية أن تُعاد أمور الفساد من أجل مزاجه وسعادته هو مع من يُحب من المماليك، أليس هذا إجحاف بل فساد كبير للراعى والرعية؟

٢١٠. المقريزى، السلوك، جـ٢، ق٣، ص٧٦٤ – ٧٨٣.
٢١١. المقريزى، السلوك، جـ٢، ص٧٤٩.
٢١٢. ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص١٢١.
٢١٣. المقريزى، الخطط، جـ٢، ص١٤٢؛ السيوطى، حسن المحاضرة، جـ٢، ص٣٠٦.
٢١٤. قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين المماليك، ص٣٣١.
٢١٥. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص٥٦٥.
٢١٦. المقريزى، الخطط، جـ١، ص٦٨ (بولاق).
٢١٧. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص٥٦٥.
٢١٨. المقريزى، السلوك، جـ٢، ص٩٢٦؛ السيوطى، حسن المحاضرة، ص٢٩٩؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ٨، ص٢٠٢؛ قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين المماليك، ص٣٠٦.

وفي عهد السلطان الناصر حسن ٧٥٩هـ / ١٣٥٧م، أمر بهدم الكنائس الكبيرة والأديرة، وأمر السلطان والى القاهرة علاء الدين الكورانى وسائر الحُجاب بأن يتوجهوا إلى شبرا ويمنعوا الناس من نصب الخيام وعمل المفاسد، ونادوا بمنع ذلك، ثم أن السلطان رسم للأمير صرغتمش بأن يهدم الكنيسة بشبرا وأن يحضر الصندوق الذي فيه الأصبع وطلب القضاة الأربعة، وأمر بحرق ذلك الأصبع بحضرة القضاة[٢١٩] ثم ذرى رماده في النهر[٢٢٠] ومنع وجود المغانى وتجمعهم في هذه الأماكن.

ومن الجدير بالذكر أنه كثيراً ما ثارت المناقشات بحضور الفقهاء والقضاة لمنع النساء من الخروج إلى الأسواق، لاسيما في أوقات الأزمات الإقتصادية أو الأوبئة، وهو ما يكشف عن المفاهيم الأخلاقية التي كان أهل ذلك الزمان يفسرون بها أسباب الكوارث والشدائد[٢٢١] بما فيهم المغاني، ففي عهد الملك الصالح إسماعيل عام ٧٤٣هـ / ١٣٤٢م، ظهر من الأمراء نائب السلطنة الحاج آل الملك[٢٢٢] وتتبع الفواحش والخواطئ[٢٢٣]،وفي عام ٧٤٤هـ/ ١٣٤٣م إشتد الأمير الحاج آل ملك النائب على والى القاهرة ومصر في منع الخمر وغيره من المحرمات، وتتبع أهل الفساد والمغاني وإحضارهم إليه، وشدّد على كل شئ في المجتمع من الفساد والإنحلال الأخلاقي[٢٢٤].

وللولاة أيضاً دور في مهاجمة وتتبع أماكن الغناء التي تحدث بها الفساد والخلاعة واللهو، فكان الوالى يتوجه بأعوانه إلى الأماكن المختلفة وينادى أن أحداً لا يفعل منكراً ومن وجد عنده شيء من المنكر ينكل به[٢٢٥]،ففى عام ٨٢٤هـ / ١٤٢١م، في عهد المظفر أحمد بن المؤيد شيخ نودى بكف الناس عن المنكرات كلها فكثر الدعاء لنظام الملك[٢٢٦] ومشت أحوال الناس وكثر البيع والشراء، وراجت البضائع[٢٢٧].

وعندما ظهر الطاعون عام ٨٣٢هـ / ١٤٢٨م، قام الأمير قرقماس الشعبانى حاجب الحُجاب قياماً تاماً في إراقة الخمور وحرق الحشيش، وهدم مواضع الحانات وبيوت الفسق[٢٢٨] وهاجم أماكن تجمع النساء[٢٢٩].

وقد إجتمع السلطان الأشرف برسباى عام ٨٣٣هـ / ١٤٢٩م، بالقضاة الأربعة، وذكر القضاة للسلطان أنه حتى يزول الوباء والبلاء ينبغى للسلطان أن يمنع المظالم، وأن الناس يكثروا من الدعاء والإستغفار، ويبطل السلطان المكوس

٢١٩. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص٥٦٦. هذا وقد قيل أن الإحتفال بطل نهائياً عام ٧٥٥هـ/ ١٣٥٣، المقريزى، السلوك، جـ٢، ص٩٢٦ ؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ٨، ص٢٠٢ ؛ قاسم عبد قاسم، عصر سلاطين المماليك، ص٣٠٦.

٢٢٠. المقريزى، السلوك، جـ٢، ص٩٢٦ ؛ قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين المماليك، ص٣٠٦.

٢٢١. قاسم عبده قاسم، النيل والمجتمع المصري، ص٧١ ؛ قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين المماليك، ص٢٣٣..

٢٢٢. ابن حجر، الدرر الكامنة، حـ١، ص٤٣٩– ٤٤٠.

٢٢٣. ابن تغرى بردي، النجوم الزاهرة، جـ١٠، ص٨٨.

٢٢٤. حياة ناصر الحجي، أحوال العامة في حكم المماليك، ص٧٢–٧٣.

٢٢٥. الصيرفى، إنباء الهصر بأنباء العصر، ص٢٠٥.

٢٢٦. هو كافل الممالك، أنظر : المقريزى، السلوك، جـ٤، ق٢، ص٥٦٥.

٢٢٧. المقريزى، السلوك، جـ٤، ق٢، ص٥٦٦.

٢٢٨. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق٢، ص١٢٢.

٢٢٩. الصيرفى، نزهة النفوس والأبدان، جـ٣، ص١٤٤.

ويقل الظلم من الحكام، لعل الله عز وجل يرفع عنهم الطاعون، وبالفعل فقد أمر السلطان أن ينادى في القاهرة بأن يتوب الناس من ذنوبهم، ويصوموا ثلاثة أيام متوالية ويكثروا من الدعاء والتضرع إلى الله عز وجل[٢٣٠].

وعندما حدث الوباء عام ٨٤١هـ / ١٤٣٧م، لم يقف السلطان أمام حدوثه عاجزاً، فعقد مجلساً بالقلعة حضره بعض الفقهاء والقضاة وسألهم إن كان الله يعاقب الناس بالطاعون بسبب ما يقترفونه من الذنوب، فأجابه البعض بأن الزنا إذا تفشى بين الناس ظهر فيهم الطاعون، وأن النساء في مصر يمشين في الطرقات ليلاً ونهاراً بزينتهن، وقد أشار الفقهاء بمنع النساء من المشى في الأسواق، ومنع المتبرجات من الخروج ولكن السلطان أمر بمنع النساء من الخروج مطلقاً ظناً منه أن منعهن يرفع الطاعون[٢٣١]، فنودى بالقاهرة ومصر وجميع الأماكن بمنع النساء من الخروج من بيوتهن وتهدد من خرجت من بيتها بالقتل، وأخذو إلى القاهرة والحجاب في تتبع الطرقات وضرب من وجدوا من النساء[٢٣٢].

إلى جانب منع خروج العجائز والبغايا وأرباب المغانى لأنهم هم سبب وجود الوباء والطاعون،ظناً من ولاة الأمر أن بمنعهن يرتفع الوباء[٢٣٣]، وتم أخذ القرار رسمياً فقد رسَم السلطان للأمير أسنبغا الطيارى بأن يحجر على بنات الخطا ومنعهن من عمل الفاحشة وأمرهم بأن يتزوجوا وإلا يحجر عليهن[٢٣٤]، وفي عهد الظاهر جقمق نودى بمنع النساء من الخروج إلى الطرقات والأسواق ولكن لم يتم ذلك[٢٣٥].

كل هذه الإجراءات إتخذها سلاطين المماليك وكبار رجال دولتهم فكانوا يتظاهرون بالعدل والخوف على أرواحهم أثناء إنتشار الأوبئة فيعلنون عن إلغاء الكثير من الضرائب والمغارم والمظالم، ففي عام ٩١٩هـ / ١٥١٣م، إشتدت وطأة الوباء على البلاد، وكان السلطان موهوماً على نفسه فأبطل عدداً كبيراً من الضرائب والمكوس[٢٣٦].

وقد كان للقاضى الشيخ شهاب الدين أحمد المنوفى الشيخ الفاضل المُحل المعتقد الشافعى متولى الظاهرية القديمة بمصر، وقد تولى بلدة منوف العليا سنة ٩١٨هـ / ١٥١٢م، وباشر القضاء بعفة ونزاهة، وطرد البغايا والمغانى من تلك الناحيه، وأزال المنكرات واستخلص الحقوق[٢٣٧].

٢٣٠. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق٢، ص١٣٢.
٢٣١. ابن الصيرفى، نزهة النفوس، جـ٣، ص٤٠٤ – ٤٠٥؛ قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين المماليك، ص١٧٩ ؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٥، ص ٩٢ – ٩٣ ؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، جـ٩، ص٩.
٢٣٢. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٥، ص ٩٢ – ٩٣.
٢٣٣. المقريزى، السلوك، جـ٤، ق٢، ص١٠٣٢.
٢٣٤. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق٢، ص١٨٤.
٢٣٥. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق٢، ص٢٢٥.
٢٣٦. قاسم عبد قاسم، عصر سلاطين المماليك، ص٣٦٢.
٢٣٧. العماد الحنبلى، شذرات الذهب، جـ١٠، ص٢٠٧.

دور المحتسب في العصر المملوكى إزاء طائفة المغانى والنساء والآداب العامة

لا شك أن المرأة شغلت جانباً كبيراً من إهتمام والى الحسبة[٢٣٨] فكان المحتسب يراقب المرأة وما ينبغى أن تكون عليه وما يحرم عليها فعله وإرتداؤه[٢٣٩]، وقد كان للحسبة دوراً عظيماً منذ بداية عهد سلاطين المماليك، ففي عهد السلطان الظاهر بيبرس ظهر دورها في الحد من إنتشار المنكرات والتظاهر بها[٢٤٠].

فظهر دورهم أعوام ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م، ٦٦٩ – ٦٧٠هـ/ ١٢٧١م عندما أُريقت الخمور وأُزيلت المنكرات، ومُنع البغاء والمغانى في مصر والقاهرة وأُغلقت الحانات وحُبست النساء في المنازل، ونفّذت البلاد كلها جميع الأوامر[٢٤١].

ومن الجدير بالذكر هنا أن حسبة القاهرة كانت تضم أحياناً إلى أعمال والى القاهرة كما تسند حسبة الفسطاط إلى واليها أيضاً[٢٤٢] كما كان يحدث أحياناً أن يساعد الوالى المحتسب على تسهيل مهماته ثم ينفرد المحتسب بتنفيذ هذه المهمات، هذا وقد إستمر محتسب العصر المملوكى في مراقبة الآداب العامة وظهور الناس بمظهر لائق في المجتمع ومنع شرب الخمر[٢٤٣] ونتيجة تكرار الأزمات والأوبئة فقد صدرت مجموعة من الأوامر والمراسيم عام ٧٨٧هـ/ ١٣٨٥م أصدرها السلطان برقوق فأمر المحتسب بإبطال ما يحدث في عيد النيروز من القبائح واللهو والفجور وتجمع المغانى وما يترتب على ذلك من كثرة المشاحنات والمشاجرات وتعطيل الأسواق[٢٤٤]، ويذكر ابن حجر أنه عام ٨٢٢هـ / ١٤١٩م، ركب المحتسب والوالى وطافا على أماكن اللهو والفساد بالقاهرة وأراقا الخمور[٢٤٥].

وفي عصر السلطان الأشرف برسباى عين دولات خجا الظاهرى برقوق المعزول عن ولاية القاهرة، فخلع عليه الأشرف برسباى باستقراره في حسبة القاهرة، وكانت رغبة السلطان في ولاية دولات خجا هذا بسبب النساء لأن السلطان يعلم شدته وقلة رحمته وجبروته[٢٤٦] كل هذا وقد تعطلت البضائع، وكانت النسوة يموت أولادهن وأقاربهن

٢٣٨. والى الحسبة هو الناظر في شؤون الحسبة في الدوله الإسلامية، وهو موظف يعينه الخليفة أو الوزير أو القاضى، ابن خلدون، المقدمه، جـ١، ص١٨٧، للنظر فى شؤون الرعية يأمرهم بما يوافق الشرع وينهاهم عما يخالفه في أعمالهم الدينية والدنيوية مما ليس من إختصاص القضاة والولاة والجباة (هو جمع جاب وهو من يجبى أو يحصل الخراج أو الزكاة أو الضرائب عادة) سهام أبو زيد، الحسبة، ص١٠٥، حاشية ٣؛ السيد الباز العرينى، الحسبة والمحتسبون في مصر، ص١٥٧، وهو داخل في باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فله النظر في كل ما يهم المسلمين في أسواقهم ومجتمعاتهم ومعاملاتهم بعضهم مع البعض، ويُعين من يراه أهلاً لذلك من الأعوان والأنصار. أنظر: الشيزرى، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، ص١٠؛ إبن الإخوة، معالم القربة في أحكام الحسبة، ص٦٥؛ سهام أبو زيد، الحسبة، ص١٠٥. ومن وظيفته التنفيذية التغير باليد ككسر الملاهى وإراقة الخمور، أنظر : الغزالى، إحياء علوم الدين، جـ٢، ص٢٨٩.

٢٣٩. سهام أبو زيد، الحسبة، ص١٨٩.

٢٤٠. الشهاوى، الحسبة في مصر الإسلامية، ص١١٥.

٢٤١. الشهاوى، الحسبة في مصر الإسلامية، ص١١٥؛ سهام أبو زيد، الحسبة، ص١٨٩.

٢٤٢. القلقشندى، صبح الأعشى، جـ١١، ص٢١.

٢٤٣. سهام أبو زيد، الحسبة في مصر الإسلامية، ص٩١.

٢٤٤. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ص ٢٦٣ – ٢٦٤.

٢٤٥. ابن حجر، أبناء الغمر، جـ٢، ص١٤٢؛ سهام أبو زيد، الحسبة في مصر الإسلامية، ص٩١.

٢٤٦. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٥، ص٩٤.

ولا تستطيع المرأة أن تخرج لترى قبر ولدها، فشق ذلك عليهن إلى الغاية، هذا مع تزايد الطاعون، كل ذلك لعدم أهلية الحكام وإستحسان الولاة على الخواطئ وإلا فالحرة معروفة ولو كانت في الخمارة والفاجرة معروفة ولو كانت في البيت الحرام ولا يخفى ذلك على الذوق السليم[٢٤٧]، والمثير للدهشة هنا أنه رغم الإجراءات المشددة التي إتخذها سلاطين المماليك وكبار رجال الدولة والفقهاء وغير ذلك لوقف الغناء أيام حدوث الأزمات والأوبئة إلا أننا نسمع على لسان مؤرخنا المقريزى أنه نتيجة حدوث الأزمات الإقتصادية وكساد سوق الجوارى المغانى فقد تم تخفيض ثلث المبلغ المقرر على كل ضامنة للمغانى من المبلغ المفروض عليها أن تدفعة للدولة[٢٤٨] وعلى الرغم من وجود الولاة ورجال الدين الصالحين إلا أننا نجد على الجانب الآخر ولاة فاسدين وشيوخ غير صالحين.

فقد تولى تاج بن سيفه الشويكى الدمشقى ولاية القاهرة في عهد السلطان المؤيد شيخ المحمودى[٢٤٩] القازانى الأصل، هذا وقد قرب السلطان والى القاهرة منه وأنعم عليه بإمرة استادارية الصحبة[٢٥٠] ثم ولاه حسبة القاهرة[٢٥١] وكانت له الكلمة العليا في الدولة، وأخذ يتجاهر بالمعاصى والفسوق ولا يكف عن عمل كل قبيح، وكان مستخفاً بالمحارم متجاهراً بذلك، وداره كبعض الحانات لما بها من أنواع القبائح[٢٥٢] والمنكرات.

أضف إلى ذلك الشيخ الصفوى، فهو شيخ بن عبد الله الصفوى الأمير سيف الدين أمير مجلس المعروف بشيخ الخاصكى، كان من أمراء الملك الظاهر برقوق ومن أعيان دولته[٢٥٣] وكان يميل كثيراً إلى اللهو والرقص وسماع المغانى والمساخر، وأرباب المغانى والملاهى، ولذلك سقطت منزلته عند السلطان[٢٥٤].

المحبظون

طالما نتحدث عن الغناء وعلاقته بعامة الشعب فيأخذنا إلى الحديث عن المحبظون هذا اللفظ عامى الصيغة وأغلب الظن أنه كان ينتمى إلى الفارسية أو التركية، ولكنه يبدو أنه محرف عن العربية (المحبذون) أى الذين يستحسنون شيئاً ويستجيدونه ويتشدقون به ويغنون، وفرق المحبظين هذه كانت فرقاً مغنية غناءاً جماعياً إلى جانب الطرب وألوان من الفكاهة والتندر والملح[٢٥٥].

٢٤٧. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٥، ص٩٥.
٢٤٨. المقريزى، السلوك، جـ٢، ق٣، ص٧٨٣.
٢٤٩. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٥، ص١٩٨؛ السخاوى، الضوء اللامع، جـ٣، ص٢٤؛ المقريزى، السلوك، جـ٤، ص٩٨٣؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص١٦٥؛ ابن تغرى بردى، المنهل الصافى، جـ٤، ص٥.
٢٥٠. الأستادارية: وظيفة من وظائف أرباب السيوف يتولى صاحبها شؤون بيوت السلطان أو الأمير كلها من المطابخ والشراب خاناه والحاشية والغلمان وله مطلق التصرف في إستدعاء ما يحتاجه البيت من النفقات والكساوى وما يجرى ذلك، أنظر : القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٤، ص٢٠، جـ٥، ص٤٧٥.
٢٥١. ابن تغرى بردى، المنهل الصافى، جـ٤، ص٦.
٢٥٢. ابن تغرى بردى، المنهل الصافى، جـ٤، ص٨.
٢٥٣. ابن تغرى بردى، المنهل الصافى، جـ٦، ص٣١٣.
٢٥٤. ابن تغرى بردى، المنهل الصافى، جـ٦، ص٣١٤.
٢٥٥. محمد قنديل، الطرب، ص١٢٣.

ويذكر ابن إياس أن المماليك والناس في عصر المماليك كانوا يستمتعون بإستماع المحبظين[٢٥٦] ومن أشهر المحبظين محمد الريس فتات العنبر وهو رئيس المحبظين في عهد ابن إياس[٢٥٧].

ونستدل مما سبق على أن التحبيظ كان صناعة غنائية، وأيضاً أن المحبظين كانوا أعضاء في تلك الفرق الغنائية الذين ينتمون إليها ويؤدون أدوارها المختلفة من غناء وفكاهة.

ونلاحظ ان إقبال السلاطين والأمراء بل عامة الناس وأوساطهم يقبلون على الأغانى الشعبية والبدوية، ويمكن القول بصريح العبارة أن غناء المحبظين كان خاصاً بالأغانى الشعبية، ثم كان خاصاً بالأغانى البدوية أي أغانى البدو التي لها تطريب خاص وإيقاع متميز[٢٥٨].

وقد كانت القاهرة تحظى بمُغنى من المحبظين إسمه الشيخ حمزة، وكان لا يعلو تخته بين البطانه التي تسانده إلا وعليه جبة وقفطان من ألوان زاهية تلفت النظر وبعد أن يؤدى هذا المغنى غناءه من الأغانى الخفيفة يتبع هذا الغناء ببعض النوادر والفكاهات[٢٥٩].

موقف المجتمع[٢٦٠] (عامة الشعب) من طائفة المغانى

الناس على دين ملوكهم، فقد كان المصريون يقيمون حفلات غنائية ترفيهية، أشبه بما كان يفعله المماليك من قبل، ولكن المماليك كانوا في ذلك أكثر بذخاً وأكثر إسرافاً، بل قل أن الشعب المصرى كان صاحب هذا البذخ وصاحب هذا الإسراف، لأنه كان يجد فيه متنفساً ينفس به عن نفسه بالإستماع إلى المطربين والمطربات، فقد كان المماليك يشركون الأهالى في إحتفالاتهم وقد كانت إحتفالات عامة كل على وفق ما يمليه يساره وجاهة خاصة في إحتفالات شهر رمضان والموالد الدينية، وما أظن أن الأمر في تلك الحفلات يتسع إلا للمقرئين والموشحين وأصحاب الموالد[٢٦١]، فقد كان شهر رمضان بحفلاته العامرة ميداناً للعبادة كما كان ميداناً للطرب حيث الأغانى الدينية من مغنين مبرزين[٢٦٢]، وقد كان الإحتفال بعيدى الفطر والأضحى إحتفالاً فخماً ضخماً ولقد كان الحفل حفل الناس وكأن السلطان أقامة للناس، وكلا من الموسيقين والمؤلفين والمغنيين كانوا يستعدون لهذا العيد وذاك، فالمؤلفون يضعون قصائدهم التي تناسب المقام والمغنون يتدربون على أدائها بما يناسب المقام[٢٦٣].

٢٥٦. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص٢٨١.
٢٥٧. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص٢٢١.
٢٥٨. محمد قنديل، الطرب، ص١٢٤.
٢٥٩. محمد قنديل، الطرب، ص١٢٦ – ١٢٧.
٢٦٠. يذكر المقريزى في كتابه «إغاثة الأمة» أن طبقات المجتمع في مصر سبعة أقسام، أهل الدولة، أهل اليسار من التجار الباعة، وأصحاب البر وأرباب المعايش، أهل الفلح وهم الزراعات والحرث، الفقراء وطلاب العلم والكثير من الأجناد، أرباب الصنائع والأجراء وأرباب المهن والحمالون والخدم والسواس والحاكة والبناة والفعلة ونحوهم، وأخيراً ذو الحاجة والمسكنة وهم السؤال الذين يتكففون الناس ويعيشون معهم، أنظر : المقريزى، إغاثة الأمة، ص٧٢–٧٥.
٢٦١. محمد قنديل، الطرب، ص٣٠.
٢٦٢. محمد قنديل، الطرب، ص٣٤.
٢٦٣. محمد قنديل، الطرب، ص٣٥.

وأصبح للمغنين والمغنيات حظوة وكأنه لدى سلاطين المماليك أولاً، ثم أمرائهم ثانياً، ثم الشعب من بعدهم ثالثاً، فالناس على دين ملوكهم، كما سبق أن ذكرنا فإذا ما جنح أولو الأمر إلى شيء فيه متعة وفيه ترويح عن النفس وفيه راحة للقلوب والخواطر، ولم يكن معه ما يشوبه من خروج على شرع سماوى، أو سُنة مألوفة أو عادة متبعة لم يتخلف الشعب عن السير في ركاب الأمراء والسلاطين يتبعونهم في كل ما يفعلون، كل على قدر طاقته تباهياً وإفتخاراً، ومنذ القدم كان الغناء أمراً مستطاباً يتعشقه البادى والحاضر، ويطرب له الفقير والأمير، بل نرى الرعية تتعشقه عن طبيعة وهوى كائن، على حين قد يتعشقه الأمراء والسلاطين عن ترف وتباه، فعشق الشعوب للغناء سليقى طبيعى يقبلون عليه عن حسن ووعى وإستطابة إستجادة، على حين يقبل كل شيء ثم عن إظهار بالتباهى والتفاخر فيسرفون ما يسرفون ويحتضنون المغنيين والمغنيات ويؤثرونهم بالكثير مما يملكون، ولكن من كتب له الحظ من المغنيين والمغنيات أن يكون ذا حظوة عند أمير أو سلطان شق طريقة في يسر ونال الدرجات بسهولة، فالفرق هنا كبير بين ما تسبغه العامة على المغنى أو المغنية، وبين ما يسبغه الأمير أو السلطان على هذا أو ذاك.

هذا وقد تعددت المناسبات والأفراح المختلفة التى كثرت فيها عمل طائفة المغانى لعامة الشعب إلى جانب أعراس الفلاحون فقد اعتاد أن يظهر دور المغنيات والراقصات، فيها فعندما ترقص الجارية وسط جموع الرجال، تطوف عليهم وفي يدها الرق لتجمع عوايدها من الفلاحين والعرب[٢٦٤] وقد كان أهل الذمة يقيمون أفراحهم في الملاهى ويسمعون المغانى كما هى العادة المتبعة لديهم[٢٦٥] هذا إلى جانب المناسبات الأخرى الخاصة بالولادة فإذا وضعت الأم مولودها أقبلت عليها النساء يزغردن ويرفعن أصواتهن بذلك مع ضرب الدفوف والرقص واللهو والغناء واللعب في حين تعمل الآلات الآخرى كالمزامير والأبواق على أبواب المنزل وتستمر الأفراح لمدة سبعة أيام[٢٦٦] في حضور المغانى، أضف إلى ذلك حفلات الختان التي كانت تحدث بين جميع طوائف البشر بداية من السلطان وأبناءه، والأمراء كما سبق أن ذكرناه، نهاية بعامة الشعب، فكثيراً ما طالت الأفراح الخاصة بهذه المناسبة فكانت تستمر أحياناً من ثلاثة إلي سبعة أيام، هذا بالإضافة إلى مناسبات الحج التي أقيمت فيها الأفراح بحضور المغانى وإقامة الولائم وضرب على باب الحاج بالطبل والأبواق والمزامير ويسمون ذلك تهنئة الحاج[٢٦٧] وقد كانت المآتم أيضاً عند عامة الشعب تقام بالمغانى والندابات اللاتى يضربن بالطارات والدفوف كما كُنّ يلطمن على وجوههن[٢٦٨]

وقد شجع سلاطين المماليك طائفة الغناء على عملها في الإحتفال بالمولد النبوي الشريف أو بمعنى أصح الإحتفال بالأعياد الدينية، فقد حرص سلاطين المماليك وعامة الشعب على الإحتفال في هذه الحفلات فجاءوا بالمغانى وآلات الطرب وتسابقوا في اللعب والدُف[٢٦٩].

٢٦٤. Dopp, «Le Caire» , p. 145.
٢٦٥. ابن حجر، إنباء الغمر، جـ١، ص٣٥١؛ سعيد عاشور، المجتمع المصرى، ص١٣٧.
٢٦٦. سعيد عاشور، المجتمع المصرى، ص١٣٧.
٢٦٧. ابن الحاج، المدخل، جـ٤، ص٢١٦.
٢٦٨. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص٤٦؛ المقريزى، السلوك، جـ١، ص٣٧١.
٢٦٩. ابن حجر، أبناء الغمر، جـ١، ص٣٥١؛ ابن الصيرفى، نزهة النفوس والأبدان، جـ١، ص١٦٨؛ ابن الحاج، المدخل، جـ٢، ص٦٢؛ سعيد عاشور، المجتمع المصرى، ص١٩٩.

فكان الإحتفال يفوق الوصف من حيث العظمة والفخامة[٢٧٠] فقد كان المنشدون في الإنشاد يمدحون الرسول عليه الصلاة والسلام وكانت تأتى طوائف الفقراء طائفة بعد أخرى ومعهم رئيس المغنيين ويستمرون في الرقص[٢٧١]هذا وإن دل فيدل على تشجيعهم المستمر للغناء والمغنيين، فقد بلغ مقرر بعض المادحين والمغنيين في ليلة المولد من السلطان ألف درهم[٢٧٢] فقد كان السلطان يمنح هؤلاء المغنيين الكثير والكثير من المال فهم يشجعون الغناء والمغنيين، ويغدقون عليهم الأموال التي لا تُحصى ولا تُعد، وكان يتم الإحتفال بالمولد النبوى الشريف على مدار العصر المملوكى بشقيه البحرى والچركسى، بالإضافة إلى ما كانت تنطوى عليه هذه الإحتفالات وتلك المواسم من إتاحة الفرصة للقراء والمنشدين والمغنيين والمرتلين سواء في أعياد رأس السنة الهجرية التي كانت عادة فاطمية، ولكن المماليك زادوا فيها وأبدعوا، فقد كان يتردد إلى القلعة أصوات القارئين المجودين والمنشدين، والناس تجتمع من هنا وهناك يسمعون ويستجيدون[٢٧٣].

ويظهر دورهم أيضاً لعامة الشعب في الإحتفال بعيد الأضحى فيُحدثنا إبن الحاج عن مفسدة كبرى كانت تحدث في الأعياد وبخاصة عيد الأضحى، وهى أن تخرج جماعة من الفتيات يطلق عليهن «بنات العيد» إلى الطرقات بعد أن يتزين ويكشفن وجوههن ثم يأخذن في الغناء والضرب بالدفوف، ويطفن بالأسواق، والحوانيت، والبيوت بجمع ما يجود به الناس عليهن[٢٧٤].

بالإضافة إلى دورهن أيضاً في مناسبة وفاء النيل وكسر الخليج، فقد كان إحتفال عامة الشعب بوفاء النيل منذ فجر التاريخ إحتفالاً عظيماً فقد كان النيل[٢٧٥] مصدر قلق وخوف دائم عند المصريين فإذا تأخر وتوقف عن الزيادة عم الناس القلق لإرتفاع أسعار القمح، وإذا وفّى النيل ستة عشر ذراعاً[٢٧٦] نادى المناد وصار ذلك مشاعاً عند جميع الناس، وتعتبر تلك الليلة بمثابة فرح عظيم وتوقد الشموع وتتزين القاهرة، فيبدأ دور المغانى فيستمرون في الغناء لمن يكون حاضراً في دار المقياس[٢٧٧].

وقد ذكر أحد الرحالة أن حياة مصر كلها تتوقف على فيضان النيل، وإليه مرجع الثروة الطائلة التي نشاهدها في مصر[٢٧٨] أما يوم كسر الخليج فكان يوماً مشهوداً في القاهرة ومصر لا سيما جزيرة الروضة، ففي ذلك اليوم تغلق جميع الأسواق في مصر والقاهرة ويُعم الناس البشر والفرح فيسرعون إلى النيل على هيئة مواكب حيث يستأجرون

٢٧٠. سعيد عاشور، المجتمع المصرى، ص١٩٧.
٢٧١. ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، جـ١، ص٢٦.
٢٧٢. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ٥، ص٥٧٥.
٢٧٣. محمد قنديل، الطرب، ص٣٩.
٢٧٤. ابن الحاج، المدخل، جـ١، ص٢٨٦؛ سعيد عاشور، المجتمع المصرى، ص٢١٢.
٢٧٥. Hymas, *Soil and Civilization*, p. 46; Lorin, *L'Égypte d'aujourd'hui*, p. 129.
محمد عوض محمد، نهر النيل في الأدب، ص٣؛ محمد حمدى المناوى، نهر النيل في المكتبة العربية، ص١٣؛ جمال حمدان، شخصية مصر، جـ٢، ص٨٧٦. Ball, *Egypt in the Classical Geographers*, p. 2, Johnston; *A History* of the *Colonization of Africa*., p. 7.
٢٧٦. السيوطى، مبدأ النيل على التحرير، ورقة ٣؛ المنوفى، الفيض المديد، مخطوط، ورقة (١٠)، ص٢٠؛ المقريزى، الخطط، جـ١، ص٦١ ؛ المسعودى، مروج الذهب، جـ١، ص٣٤٢ ؛ عبد الطيف البغدادى، الإفادة والاعتبار، ص٥٧ ؛ القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٣، ص٢٩٦ ؛ ابن مماتى، قوانين الدواوين، ص٧٦ ؛ قاسم عبد قاسم، النيل والمجتمع المصرى، ص١٦ ؛ أمين سامى، تقويم النيل، المقدمه.
٢٧٧. ابن دقماق، الإنتصار، جـ٤، ص١١٤ – ١١٥.
٢٧٨. Schelfer, *Voyage* , p. 206-207.

السفن ويملؤها بالطرب والغناء، هذا وقد جرت العادة بكتابة البشائر إلى سائر أعمال الدولة حتى يعم الفرح جميع الناس[٢٧٩] عامة الشعب (مسلمين وأقباط)، ومن الأعياد التى شارك فيها المسلمون إخوانهم الأقباط في عصر سلاطين المماليك وكان للمغنيات دوراً فيها (عيد الشهيد) واعتاد النصارى أن يحتفلوا بذلك اليوم بالقاء تابوت في نهر النيل به أحد أصابع أسلافهم من الحواريين، وجرت العادة أن يكون الإحتفال بعيد الشهيد في ناحيه شبرا، فيذهب إلى هناك النصارى كما يخرج جميع أهل القاهرة ومصر على إختلاف طبقاتهم بحيث لا يبق مغن ولا مغنية ولا صاحب لهو ولا بغى، ولا محدث ولا ماجن ولا خليع إلا ويخرج لهذا العيد[٢٨٠] وعند حفر خليج أو جسر في مواقع العمل كانت الحركة الدائبة ترسم صورة مهرجان شامل فيفد الباعة ببضاعتهم من المأكولات والمشروبات يبيعونها للعمال والفعلة كما تحضر إلى مكان العمل المغانى من سائر أنحاء البلاد ومعهم الطبول والزمور ففي عام ٨١٨هـ/ ١٤١٥م، نودى للناس للحفير وخرجت طوائف المصريين إلى موقع العمل، ومع كل طائفة منهم الطبول والزمور وكان ذلك مدعاة لاجتماع الناس من الرجال والنساء للفرجة[٢٨١].

فعلى الرغم من إنشغال عامة الشعب وولع عدد كبير منهم بالموسيقى والغناء سواء في الأفراح والحفلات المنزلية أو في الإحتفالات العامة أو في حياتهم اليومية، فكانوا يسعون إلى الأماكن التي يغني فيها المطربون لكى يستمعوا إليهم، فقد إعتاد المصريون من عامة الشعب آنذاك على إحياء حفلاتهم بالغناء والموسيقي، بل إنه كانت توجد في المدن المصرية قاعات مخصصة لعمل حفلات الزواج والأفراح[٢٨٢].

حتي أن حفلات المولد النبوي، كان المصريون يحتفلون بها في منازلهم بإحضار الفرق الموسيقية والمطربين مما أثار إستياء بعض المتدينين[٢٨٣] كما سبق أن ذكرناه.

كما أن ولع المجتمع المصري بالموسيقى والغناء بلغ حداً جعلهم يصطحبون معهم آلات الموسيقي والغناء في القوارب للقيام بنزهة على مياه النيل وعندما يتوجهون إلى القرافة[٢٨٤]، فقد إعتبر الناس القرافة مكاناً للهو والتفريج عن الناس فخرجوا إليها في الليالي المقمرة، وهناك يدعون الأهل والأصدقاء ويقيمون الولائم ومعهم أولادهم ونساؤهم[٢٨٥] فيكثر الغناء والرقص ويحدث الفساد[٢٨٦] وذلك إصطحاب المغاني وجوقات العوالم معهم[٢٨٧]

وقد كان هناك سوق محدد تباع فيه الآلات الموسيقية، وفيه أيضاً كان يجلس العاطلون من الموسيقين والمطربين والمطربات والراقصات في إنتظار من يدعوهم لإحياء حفل أو عُرس، ومن الأمور الطريفة أنه شاع في أوساط المصريين

٢٧٩. Dopp, *L'Égypte*, p. 20-21; Dopp, «Le Caire », p. 122.
ابن دقماق، الإنتصار، جـ٤، ص١١٥.
٢٨٠. المقريزى، الخطط، جـ١، ص١١٠ (بولاق)؛ قاسم عبد قاسم، النيل والمجتمع المصرى، ص٤٧ – ٤٨.
٢٨١. قاسم عبد قاسم، النيل والمجتمع المصرى، ص٣٦.
٢٨٢. ابن دقماق، الإنتصار، جـ٤، ص١٣؛ ابن الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان، جـ١، ص٦٧.
٢٨٣. ابن الحاج، المدخل، جـ٢، ص٢.
٢٨٤. ابن الحاج، المدخل، جـ١، ص٢٤٦، ٢٦٨، ٢٨٣، ٢٩٠.
٢٨٥. ابن بطوطة، الرحلة، جـ١، ص٧٤.
٢٨٦. ابن الحاج، المدخل، جـ١، ص٢٦٧–٢٧٠.
٢٨٧. المقريزى، الخطط، جـ٣، ص٢٣٣–٢٤٤؛ ابن الحاج، المدخل، جـ١، ص٢٤٦.

أنذاك أن من يمر من هذا المكان لا تقضي له حاجة[٢٨٨] وهو ما يكشف عن موقف مزدوج من المجتمع المصري في ذلك الحين تجاه أصحاب هذه الحرفة، فعلي الرغم من إقبال المصريين على الموسيقى والغناء والإستمتاع بها فإن المجتمع المصري تحفظ في نظرته للفنانيين الذين كانوا يقدمون لهم هذه الفنون، وهو موقف مازالت بقاياه موجودة في مجتمعنا الحالي[٢٨٩] .

ولا شك أن وجود هذه الفئة من نساء طائفة المغانى السيئات في أى مجتمع يسمح للمجتمع بأن، تعامل المرأة الشريفة بإلاحترام والتقدير اللائقين بها، فالسيدة السيئة السمعة لا يحترمها المجتمع وقد نظر لطائفة المغاني على أنها هي أساس الفساد والبلاء الذي يحل بالمجتمع في كل شئ وهن وراء ما يحدث في كل أزمة، فهى تمثل كبش الفداء، حيث يحملها الرجل بل المجتمع بأسره نتائج أفعالها المشينة ثم ينبذها المجتمع بعد ذلك ولم تحظي بأي تقدير أو أي إهتمام من كافة فئات المجتمع، وهو بالفعل ما حدث عندما كان المجتمع ينبذ هذه الطائفة خاصة في وقت حدوث الأزمات الأقتصادية وعندما يحل الوباء والبلاء والطاعون ويتغلغلون في سائر أنحاء المجتمع،كما سبق وأن ذكرناه.

وبعد فهذه دراسة تهدف إلى التعريف بطائفة المغانى وأدوارها المختلفة في عصر سلاطين المماليك، وكيف أن سلاطين المماليك عملوا على تشجيع هذه الطائفة وتقريبها منهم، وقد كانت هذه الطائفة تدُر دخلاً كبيراً للدولة المملوكية وكانت الدولة تشجع هذا الدخل وتسمح به ولم تجد غضاضة في توظيف شخص مسؤول عن هذا الدخل لجمعه ووضعه في خزانة الدولة.

إختلف موقف سلاطين المماليك من وجود طائفة المغانى فتارة يشجعونها ويقربونها منهم في مناسباتهم المختلفة سواء في أفراحهم، وختان أبنائهم، ورحلاتهم، وتشجيع هذه الطائفة على إستقبال هؤلاء السلاطين عند رجوعهم من الحج أو عند رجوعهم منتصرين من الحرب، فلم يجد معظم السلاطين أى غضاضة من وجود هذه الطائفة بالقرب منهم.

وقد إختلف هذا الموقف عند حدوث الأزمات الاقتصادية فقد ألغى معظم السلاطين عمل هذه الطائفة وأرجأوا حدوث هذه الأزمات والأوبئة والأمراض المختلفة نظراً للفساد المستشرى في المجتمع وعمل هذه الطائفة، فقد ألزموا هذه الطائفة بل جميع النساء بالجلوس في بيوتهن وعدم الخروج منها وبعد أن تنتهى الأزمة تعود الأمور إلى ما كانت عليه بل أسوأ.

لبعض سلاطين المماليك موقف حاسم من وجود طائفة المغانى، فلم يرغب البعض في وجود هذه الطائفة مثل السلطان الظاهر بيبرس الذي كان متشدداً في الضرب على أيدى المفسدين في جميع البلاد فأزال المنكرات بكافة أشكالها وأنواعها، أضف إلى ذلك كُره السلطان الظاهر چمقمق لأهل اللهو والطرب وحُبه لمجالسة الفقهاء حتى قيل أن الناس تابوا وأصبحوا صالحين وتزهدوا في العبادة.

٢٨٨. القلقشندي، صبح الأعشى، جـ٢، ص١٤٣ ؛ المقريزى، الخطط، جـ١، ص٣٧٩ (بولاق).
٢٨٩. قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين المماليك، ص٣٣٥.

أوضحت الدراسة أن الغناء لم يقتصر على النساء فقط بل إشتمل على الرجال أيضاً وذاع صيت الكثير من المنشدين والملحنين ولكن السلاطين ومعظم الناس بل جميعهم فضلوا المغنيات النساء على المغنيين من الرجال.

أوضحت الدراسة إرتفاع قدر المغنيات بزواجهن من السلاطين المماليك بالإضافة إلى أن المغانى كن سبباً في الإطاحة ببعض السلاطين وخراب الدولة لإنشغال السلاطين بهؤلاء المغانى.

أوضحت الدراسة رفض الفقهاء ورجال الدين لطائفة المغانى وإعتراضهن على ضمان المغانى على الرغم من وجود ولاة وشيوخ صالحين يحاربون الفساد من جميع الوجوه، نجد على الجانب الآخر ولاة فاسدين وشيوخ غير صالحين وهذا ما أوضحته الدراسة أيضاً.

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر العربية

ابن الإخوة، (محمد بن محمد بن أحمد القرشي)، معالم القربة في أحكام الحسبة، نقله وصححه (روبن لُـووِي)، م كمبردج،١٩٣٧م.

ابن الحاج، (أبو عبدالله محمد بن محمد) المدخل إلى الشرع الشريف، القاهرة، ١٩٢٩م.

ابن الفرات، (ناصر الدين محمد بن عبدالرحيم)، تاريخ ابن الفرات، تحقيق قسطنطين رزيق، نجلا عز الدين، المجلد الثامن، بيروت، ١٩٣٩ م.

ابن إياس، (محمد بن أحمد) بدائع الزهور فى وقائع الدهور، حققه محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٣١١هـ.

ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، المسماه تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، القاهرة ١٩٦٤م.

ابن تغرى بردي، (جمال الدين أبو المحاسن يوسف)، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، القاهرة، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م، وهناك محقق آخر د. محمد محمد أمين، القاهرة، ١٩٩٣م.

ـــ، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، القاهرة، ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م.

ـــ، حوادث االدهور فى مدى الأيام والشهور، تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين، القاهرة، ١٩٩٠م.

ابن حجر (الحافظ بن حجر العسقلاني)، الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة، القاهرة، ١٩٦٦م.

ـــ، إنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق:د. حسن حبشى،القاهرة، ١٩٦٩ م.

ابن دقماق، (إبراهيم بن محمد بن آيدمر العلائى)، الانتصار لواسطة عقد الأمصار، القاهرة، ١٣١٤هـ.

ابن كثير، (عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي)، البداية والنهاية في التاريخ، جـ١٣، القاهرة، ١٩٦٦م .

ابن مماتى، (الأسعد بن مماتى الوزير الأيوبى)، كتاب قوانين الدواوين، تحقيق: عزيز سوريال عطية، مطبعة مصر، طبع الجمعية الزراعية الملكية، ١٨٩٨م.

ابن منظور، (أبى الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المعروف بابن منظور الإفريقى المصرى الأنصارى الخزرجى)، لسان العرب، بيروت، د.ت .

الحنبلى، (عبدالحي أحمد)، شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، القدس،١٣٥٠ م.

العيني، (بدر الدين محمود العيني)، السيف المهند في سيرة الملك المؤيد شيخ المحمودي، تحقيق : فهيم محمد شلتوت، محمد مصطفي زيادة، القاهرة، ١٩٦٧م .

الرازى، مختار الصحاح، تحقيق محمود خاطر، بيروت، ١٩٩٥م.

الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، د.ت.

السبكي، (تاج الدين عبد الوهاب السبكي)، معيد النعم ومبيد النقم، القاهرة، ١٩٩٣م.

السخاوى، (شمس الدين محمد بن عبدالرحمن بن أبي بكر عثمان السخاوي)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج١٠، بيروت، د.ت.

السيوطى،(جلال الدين السيوطي الشافعي)، مبدأ النيل على التحرير، مخطوط بدار الكتب المصرية، ٣٨١ جغرافيا.

—، حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة، القاهرة١٣٨٧هـ.

الشيزرى، (عبد الرحمن بن نصر الشيزرى)، نهاية الرتبة فى طلب الحسبة، تحقيق السيد الباز العرينى، القاهرة، ١٩٤٦ م.

الصيرفى، (علي بن داود الصيرفي المعروف بالخطيب الجوهري)، إنباء الهصر بأنباء العصر، القاهرة، ١٩٧٠ م.

—، نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ الزمان، تحقيق: د. حسن حبشى، القاهرة، ١٩٧٠م.

الغزالى، (أبو حامد محمد بن محمد بن محمد)، إحياء علوم الدين،ج٢، المطبعة اليمنية، القاهرة، د.ت.

القلقشندى، (أبوالعباس أحمد بن علي)، صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، القاهرة، ١٩١٣ – ١٩٢٢م.

المسبحي، (الأمير المختار عز الملك محمد بن عبد الله أحمد)، أخبار مصر، تحقيق أيمن فؤاد سيد وتييري بيانكي، المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية، القاهرة.

المسعودى، (أبى الحسن على بن الحسين بن على المسعودى)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق : محمد محى الدين عبد الحميد، الطبعة الرابعة، القاهرة، ١٩٦٤م.

المقري الفيومي، المصباح المنير،المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٨٧م (هناك طبعة أخرى للمقرى الفيومي، مصباح المنير في غريب الشرح الكبير، القاهرة، ١٩١٠م).

المقريزى، (تقي الدين أحمد بن علي)، إغاثة الأمة بكشف الغمة، أو تاريخ المجاعات فى مصر، حمص، ١٩٥٦م.

—، المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار، طبعة بولاق، القاهرة، ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٤م.

—، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة، القاهرة، سنة ١٩٤٣م.

ياقوت الحموى، (الشيخ الإمام شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى)، معجم البلدان، بيروت، ١٩٥٧م.

ثانيا : المراجع العربية

أحمد السيد الصاوى، أوراق من تاريخ عمل المرأة المصرية، مركز قضايا المرأة المصرية، القاهرة، د.ت.

—، مجاعات مصر الفاطمية، القاهرة، ١٩٨٨م.

السيد الباز العريني، الحسبة والمحتسبون في مصر، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الثالث، القاهرة، ١٩٥٠م.

الشهاوى، الحسبة فى مصر الإسلامية، القاهرة، د.ت .

أمين سامى، تقويم النيل، القاهرة، ١٩١٦م.

جمال حمدان، شخصية مصر، القاهرة،١٩٨٠م.

حسن الباشا، أثر المرأة فى فنون القاهرة، القاهرة، ١٩٧٠م.

—، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، القاهرة، ١٩٦٥ م.

حسن الساعاتى، مشكلة البغاء، القاهرة،١٩٦١ م.

حسنين محمد ربيع، النظم المالية في مصر زمن الأيوبيين، القاهرة، ١٩٩٠م.

حسين مصطفى حسين، طوائف الحرفيين، رسالة دكتوراه، القاهرة، ١٩٨٧م.

حياة ناصر الحجى، أحوال العامة فى حكم المماليك، الكويت، ١٩٩٤م.

خليل بدوى، موسوعة شهيرات النساء، القاهرة، ١٩٩٨م.

راشد البراوى، حالة مصر الاقتصادية فى عهد الفاطميين،،القاهرة، ١٩٤٨م.

سعيد عبد الفتاح عاشور، المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك، القاهرة، ١٩٦٢م.

سهام أبوزيد، الحسبة فى مصر الاسلامية، القاهرة، ١٩٨٦م.

سيدة الكاشف، مصر فى عصر الاخشيديين، القاهرة، ١٩٥٠م.

—، مصر في عصر الولاة، سلسلة الألف كتاب (٢٤١)، القاهرة، ١٩٥٠م.

سامية علي مصيلحي، البغاء في مصر في العصر المملوكي، حوليات آداب عين شمس، المجلد ٣٣، القاهرة، ٢٠٠٥م.

ضياء الدين بيبرس، الخراج والنظم المالية للدولة الفاطمية، القاهرة، ١٩٦٩ م.

عبد اللطيف بن يوسف بن محمد البغدادى، الإفادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، القاهرة، أشرف على اعداد هذه الطبعة وقدم لها د. عبد الرحمن عبدالله الشيخ، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨م.

على السيد على محمود، الجوارى فى مجتمع القاهرة المملوكية، القاهرة، ١٩٨٨م.

قاسم عبده قاسم، أسواق مصر فى عصر سلاطين المماليك، القاهرة، ١٩٧٦م.

—، النيل والمجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، القاهرة، ١٩٧٨م.

—، دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعي عصر سلاطين المماليك، القاهرة، ١٩٨٣م.

ليلى عبد اللطيف، دراسات فى تاريخ ومؤرخى مصر والشام إبان العصر العثمانى، القاهرة، د.ت .

محمد أحمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، دمشق،١٩٩٠م.

محمد بن حسن، المختار المصون من أعلام القرون، مج١، دار الاندلس، ١٩٩٥م.

محمد جمال الدين سرور، تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق، القاهرة، د.ت .

محمد حمدي المناوي، نهر النيل في المكتبة العربية، القاهرة، ١٩٩٦م.

محمد رمزى، القاموس الجغرافى للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين الى سنة ١٩٤٥، القسم الأول، البلاد المندرسة، القاهرة، ١٩٥٣– ١٩٥٤م.
محمد زغلول سلام، الأدب في العصر المملوكى، ج١، القاهرة، د.ت .
محمد عوض محمد، نهر النيل في الأدب، المجلة، العدد ٨، المحرم سنة ١٣٧٧هـ، أغسطس، القاهرة، ١٩٥٧م.
محمد قنديل البقلى، الطرب فى العصر المملوكى، القاهرة، ١٩٨٤م.
محمد نيازى حتاتة، جرائم البغاء، رسالة دكتوراه، القاهرة،١٩٦١م.
نجية إسحق عبدالله، فرج عبد القادر، سيكولوچية البغاء، القاهرة، ١٩٨٤م.
نريمان عبدالكريم، المرأة فى العصر الفاطمى، القاهرة، ١٩٩٣م.

ثالثاً: المراجع الأجنبية

Dozy, R., *Supplément aux dictionnaires arabes*, 2 vols, Leyden, 1881 (Paris, 1927).
Hymas, E., *Soil and Civilization*, London, 1952.
Johnston, Sir Harry Hamilton, *A History of the Colonization of Africa by Alien Races*, Cambridge, 1905.
Lorin, H., *L'Égypte d'aujourd'hui*, Le Caire, 1926.
Quatremère, E. (trad.), *Histoire des sultans mamlouks de l'Égypte*, Paris, 1837.
Schefer, Ch., *Le voyage d'outre-mer (Égypte, Mont Sinay, Palestine) de Jean Thenaud*, Paris, 1864.
Ashtor, E., *A Social and Economic History of the Near East in the Middle Age*, Collins, London, 1979.
Alien, R., *The Nile Quest*, London, 1903.
Ball, J., *Egypt in the Classical Geographers*, Gor. Press, Cairo, 1942.
Beauvoir, S., *The Second Sex*, Translated from the French by H.M. Parshley, A Four Square Book, London , 1963.
Dopp, P. H., Le Caire vu par les voyageurs occidentaux du Moyen-Âge», *Bulletin de la Societé royale de géographie d'Égypte* 22, Le Caire, 1951.
—, *L'Égypte au commencement du quinzième siècle,* Le Caire, 1950.

رابعاً: الشبكة الدولية للمعلومات

http://www.azminah.com
http://www.neelwafurat.com
http://www.fustat.com
http://www.aqsaa.com
http://www.hartaka.blogspot.com
http://www.landcivi.com

AnIsl 43 (2009), p. 376-416 ḤASSAN (Mervat ʿOṯman)
Ṭāʾift al-maġānī fī Maṣr fī al-ʿaṣr al-mamlūkī.